البغايا

طبع في مصر

البغايا

(مجموعة قصصية)

هاني سامي

النخبة
للنشر والطباعة والتوزيع
2019

الطبعة الأولى – عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

2019 – 1441

رقم الإيداع: 16512 / 2019

الترقيم الدولي: 3 – 371 – 838 – 977 – 978

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

النخبة

6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل

أمام سور نادى الزمالك– الجيزة – مصر – 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

إهداء

إلى المرأة التي منحتني كل شيء ولم أمنحها ما تستحق.

إلى الملاك التي يسعني قلبها كلما ضاقت بي نفسي، وحضنت غضبي وجنوحي وشططي ومزاجي المتقلب دومًا.

إلى تلك الروح التي سكنتني وساقتني لأنهار الرقي والسمو والعطاء المطلق.

إلى صديقتي وحبيبتي وزوجتي/ أسماء الصغير.

أهدى لها تلك المجموعة القصصية وهي عملي الأدبي الأول خلال رحلتي في الكتابة مع صاحبة الجلالة.

البـغايـا

ليلة شتوية باردة جمعت أربعة أصدقاء كعادتهم منذ خمس وعشرون عامًا، جميعهم من أصحاب المراكز المرموقة، والأعمار التى تقارب الخمسين، في شاليه أحدهم على البحر بمنطقة العجمي بالإسكندرية.

بناية تشبه هدوء الحي الموجود فيه حيث تكسوها من الخارج حوائط صنعتها حجارة بيضاء كبيرة، ومن الداخل دور أرضي يعلوه «رُوف»، الأصدقاء يجلسون حول المدفأة التي يطعمونها من الأخشاب كلما صارت نارها ركام، يقطع الصمت وحالة البرودة صوت بهجت الدريني أستاذ الاقتصاد الشهير وصاحب المؤلفات الاجتماعية الهامة ومالك الشاليه أيضًا:

يا جماعة أنا جعان أوي، وهادخل أعمل ساندوتش؟! حد عايز حاجة؟.

يرد الدكتور بدر الصواف المتخصص في طب النساء والولادة:

اعملى أى ساندوتش معاك يا بهجت من فضلك، يدخل بهجت إلى المطبخ المصمم على الطراز الأمريكي حيث يكشف الريسبشن كاملًا، يبدأ في تجهيز الأطعمة، ينهض الصواف من أمام المدفأة ممسكًا بريموت التلفاز يضغط لتشغيله.

يعود متكئًا على أريكة، ينضم إليه المهندس صفوت الدهان صاحب أهم شركة مقاولات في البلد والصديق الرابع السفير حسن برهان الذي اعتزل العمل الدبلوماسي وبدأ في تجارة السيارات، يبث التلفاز خبر إلقاء القبض على شبكة دولية للبغاء تتزعمها امرأة خمسينية، يزيد اهتمام الدكتور بدر الصواف مع عرض صورة تلك المرأة ويضغط على الريموت لرفع مستوى الصوت، تتصاعد دهشته، يلتفت إليه صفوت وحسن في قلق بصوت واحد: مالك يا صواف؟.

يرد ساخرًا مع ضحكة مصطنعة وهو يشير لصورة زعيمة الشبكة الموجودة على شاشة التلفاز:

الحمد لله إن ربنا خلصني منها، الست دي كانت مديرة عيادتي في الدقي وكنت مخليها مسئولة عن كل حاجة واستغفلتني، صحيح انا أخدت بالي متأخر لأنى كنت باثق فيها جدًا، لكن الحمد لله إني طردتها.

يدخل بهجت قادمًا من المطبخ يحمل في يده صينية فوقها عدد كبير من الساندوتشات وهو يتابع الحوار الدائر بين أصدقائه الثلاثة ويقاطع الجميع موجهًا حديثه للصواف:

ويا ترى إيه حكايتها الست دي يا دكتور،

يرد بدر:

الست دي كانت هاتضيّع مستقبلي كله وتخرب بيتي ويمكن كان زماني في السجن دلوقتي وفضيحتي على كل لسان، لكن ستْر ربنا كان سابق

وأنقذني، الدهشة تكسو وجوه الأصدقاء الثلاثة صفوت وحسن وبهجت الذي يتناول عبوات التسالي (كاجو ولب وسوداني) وهو يجلس:

لا ده أنت تحكي لنا الموضوع بقى من البداية للنهاية.

الدكتور بدر الصواف يطلق زفيرًا كبيرًا: كده ها ترجعني خمسة وعشرين سنة من عمري يا بهجت،

يقاطع صفوت ضاحكًا:

بعد اللي قلته ده لازم نعرف إيه الحكاية، ويا رب ترجع كما ولدتك أمك مش خمسة وعشرين سنة، بس لازم نعرف.

بدر يخفض صوت التلفاز ويبدأ في السرد:

الحكاية باختصار إن الست اللي انتوا شفتوها دي على الشاشة من شوية اسمها صفية، وكان لها أخت أكبر منها اسمها هدى، كانت مديرة أولى عيادة أفتحها في حي الدقي وكانت امرأة أشبه بالملائكة، ولكنها أصيبت بمرض السرطان وعرفت أن أيامها في الدنيا أصبحت معدودة، لذلك وقبل أن تعود روحها لربها، وبعد أن زادت أيام غيابها عن العيادة، مما أحدث ارتباك كبير على المستوى الإدارى، المهم.. أحضرت لي أختها صفاء عشان تبقى مكانها مدير للعيادة، ووافقت فورًا كنوع من المعروف.

بمرور الأيام زاد العمل في العيادة بالتوازي مع تحقيق سُمعة طيبة للغاية لي كطبيب ماهر ومحترم، وهو أمر هام بالنسبة لتخصص أمراض

النساء، وقمت بافتتاح عيادة أخرى في المهندسين، وافتتحت ثالثة في منطقة الزمالك، وبمرور الوقت اكتسبت صفاء بمجهودها وإخلاصها وتفانيها في العمل ثقتي وصارت مديرة لكل العيادات ومسئولة عنها بشكل كامل ماليًا وإداريًا وتسويقيًا وظلت بجواري وتقوم بدور سكرتيرتي الخاصة إلى أن افتتحت المستشفى الخاص بي وأوكلت إليها منصب مدير الشئون المالية والإدارية بها، وحققت كعادتها نجاحًا ممتازًا.

إلى أن زارني صديق لي يعمل لواء شرطة ومعه زوجته تعاني من بعض الآلام، وبعد الفحص تبيّن وجود أمر بسيط وكتبت العقار المناسب له، ولكني فوجئت بصديقي يكشف لي أمام زوجته وكانت صديقة حميمة لزوجتي أن الهدف الأساسي من الزيارة ليس طبي، ولكن لأمر خطير وهو أن اسمي متورط في شبكة تمارس أنشطة طبية مخالفة وغير مرخّص بها، كتأجير الأرحام، وعمليات إجهاض مشبوهة، وتجارة في عقاقير جنسية ممنوعة.

يتوقف بدر الصواف عن السرد لأصدقائه قائلًا: مش دي المشكلة الوحيدة لكن الكارثة اللي قاله لي صديقي اللواء بعد ذلك، فقد أوضح لي أن تحريات المباحث المبدئية تؤكد أني مع كل تلك المخالفات الطبية، فأنا أتزعّم عصابة تمارس البغاء على مستوى عربي ودولي، وأنني أستغل مهنتي كطبيب، وعياداتي والمستشفى الخاص بي في تلك الأنشطة الإجرامية عبر مساعدتي الأولى صفاء.

يصمت الدكتور بدر الصواف برهة ويكمل:

صعقني حديث صديقي الذي يعرف عني كل شيء وأكد لي أنه متأكد وجود خطأ ما في تلك التحريات، وجاء له بشكل ودي لأنه سيتم استدعائي للتحقيق قريبًا في النيابة، وقال لي اللواء قبل أن ينصرف:

(أنا متأكد وواثق فيك ورغم كده أنا مش هاقدر أساعدك، لكن طهّر المطبخ في أسرع وقت، لأن الموضوع مش سهل وعلى مستوى كبير محدش يتخيله)

يكمل بدر الصواف:

رسالة صديقي رجل الشرطة كانت واضحة، وأهم شخص في مطبخ حياتي كانت صفاء وبدأت أراقبها، واكتشفت أنها صنعت من خلالي علاقات على أعلى مستوى مهدت لها عقد الصفقات الحرام التي كانت تُدر عليها ملايين، حيث تاجرت في كل شيء ممنوع، وكانت تلك الصفقات تتم في مكتبها بالمستشفى الخاص بي لأني فوق مستوى أي شبهات، اكتشفت أنها كانت تستقطب القاصرات والنساء وتبيعهن كبغايا لأمراء ومسئولين عرب كِبار، ولما كان يحدث حمل لإحداهن تقوم من خلال علاقتها ببعض الأطباء بإجراء عمليات الاجهاض فى المستشفى الخاص بي لهن دون علمي، ده غير تأجير الأرحام والغير مرخص به ومُجرّم في بلدنا، بالإضافة إلى صفقات تصنيع العقاقير الجنسية الممنوعة والمغشوشة.

وعندما جاء اليوم الذي واجهتها فيه بكل هذه الامور اعترفت بكل بجاحة وكمان هددتني وقالت:

طالما عرفت كل حاجة يا دكتور يبقى شيل ده من ده يرتاح ده عن ده، أنا هامشي من المستشفى والعيادات في سلام وأمان ولو جبت اسمي في أي حاجة، صدقني أنت اللي هاتزعل، وهاتزعل أوي، كأننا مشفناش ومعرفناش بعض أو كأننا متقابلناش أصلًا..

يصمت بدر الصواف برهة وكأنه يستدعى أمرًا ما، ثم يكمل:

لم أصدق ما سمعت من صفاء التي كانت بمثابة شقيقتي، كانت مواجهة صعبة معها ساءت بعدها حالتي النفسية وفقدت الثقة في كل البشر، ولم يكن مرض أبناء صفاء بأمراض مزمنة وانها تحتاج الكثير من المال لعلاجهم مبررًا لارتكابها كل هذه الجرائم البشعة.

فى تلك الفترة اتصل بي مجهول في فجر أحد الأيام على هاتف المنزل وقال:

النيابة هاتبعت لك وأي سؤال تجاوب بالنفي وتقول لأ، ولو سألوك عن صفاء مشيتها ليه من المستشفى هاتقول إنكم اختلفتوا في الفترة الأخيرة على طريقة إدارة المستشفى والعيادات وانتهت علاقة العمل بينكم بالتراضي، تم إغلاق التليفون بعد ما سألت مين معايا!!

وكأني في فيلم عربي أبيض وأسود.

تانى يوم جاءني استدعاء النيابة فعلًا، وبعدها بعدة أيام ذهبت مع المحامي للنيابة والذي كان قد اتفق معايا على أن إجاباتي على الأسئلة التي توجّه لي ستكون على أساس إشارات منه اتفق معايا عليها، وذلك حسب سير التحقيق.

انتهى التحقيق وأدهشتني بساطته رغم بشاعة القضية التي تمكنت من عدم نشر اسمي بها بعلاقات الود والمحبة التي جمعتني بكثير من المسئولين والصحفيين المتعاطفين معي.

بعد فترة علمت أن النيابة لم توجّه لي أي اتهام، بل حفظت القضية برمتها. ولم أتابع شيء بعد ذلك، ولكن ما أتذكّره أن تلك البغيّة اللي اسمها صفاء جعلتني أعيش تجربة قاسية أوي اوي مش هانساها لحد ما اموت، بس.. هي دي حكاية صفاء اللي شفتوها على شاشة التليفزيون من شوية بعد ما اتكشفت واتقبض عليها.

السفير حسن برهان يقاطع:

معاك جدًا يا دكتور إن الاحتياج والمرض ميخلوش أى ست تمارس البغاء، أنا بعد ما اتجهت للبيزنس واعتزلت العمل الدبلوماسي زي ما انتوا عارفين فتحت أكتر من»أجنس» عربيات وكلها طبعًا مراقبة بالكاميرات، وبابقى قاعد في بيتي وشايف اللي بيحصل، ولاحظت في الفترة الأخيرة إن فيه سايس عندي في معرض من المعارض كان مُعدم ومش لاقي ياكل وميعرفش يعنى ايه موبايل وبيقول على الكفتة لانشون،

والله زي ما باقولكم كده، وفجأة السايس ده حاله اتغير وبقى يلبس أغلى هدوم ومعاه موبايل أحدث ماركة واتحول مية وتمانين درجة.

في الأول شكيت أنه ممكن يكون مش أمين وبيسرق حاجات من المعرض بأى شكل ويبعها، فعملت جرد فجأة في كل المعارض والنتيجة إن كل حاجة تمام ومفيش أي عجز أو نقص في أي حاجة، وفي مرة استدعيته لمكتبي وسألته عن التغيير اللي حصل له فقال لي:

الحمد لله يا بيه الشغل هنا في المعرض زي الفل والبقشيش كتير، كأنه كان متوقع السؤال ومتلقّن بالإجابة اللي طبعًا لم تقنعني، لكن أنا باغتته وقلت له:

ورينى كده الموبايل ده عشان عايز أجيب واحد زيه!.

بعفوية أعطاه لي وقال لي:

ما يغلاش عليك يا بيه..

مسكت الموبايل وتظاهرت بالعطش طلبت منه يجيب لي إزازة ميه معدنية من السوبر ماركت، وكان الوقت ده كافي إني أشوف التليفون يمكن أوصل لأي معلومة. ولم أجد عليه غير أربع أسماء مسجلة، وفيه رسالة صوتية على الواتس آب بصوت نسائي:

مستنياك النهاردة بعد 12 بالليل..

حصلت على الرقم سريعًا، وبعد أن وصل أعطيته الموبايل دون أن يشك في شيء وانصرفت.

عدت بسيارتي مساءً لأراقبه، ومع الساعة العاشرة والنصف مساءً وجدته ينصرف ولكن بهيئته القديمة حيث ارتدى ملابس مُتسخة للغاية وتبرز فوطة صفراء من ملابسه وهيئته غير مقبولة، انصرف وبعد عدة أمتار وقف ينتظر شيئًا ما.

فجأة تأتي سيارة أحدث موديل وعلى عجلة القيادة سيدة لم أرَ جمالها قبل كده، وركب معاها السايس وانطلقا تجاه منطقة المنصورية المعروف عنها الهدوء الكبير.

انطلقت خلفهم بسيارتي دون أن يشعروا وعندما وصلوا كانت المفاجأة!.

دخلوا قصر مكتوب عليه اسم شخصية عامة ومرموقة معروفة للجميع، الحقيقة الفضول قتلني لدرجة أنني انتظرت إلى أن خرجوا مرة أخرى من القصر، والوقت قد اقترب من الفجر، خرجت مع السايس المرأة الحسناء ووصلته إلى المكان الذي أخذته منه بالقرب من المعرض.

بدأت أراقب السيدة الحسناء وأخذني الفضول والاستغراب لأن أعرف إيه اللي بينها وبين السايس الغلبان ده، مع المراقبة اكتشفت أن هذه السيدة هوايتها اصطياد الشباب في سن من عشرين لخمسة وعشرين سنة والتغرير بهم وممارسة الجنس معهم في بيتها، مقابل هدايا وفلوس من غير حساب.

لكن مش دي القضية، الغريب إنه رغم مستواها الاجتماعي الراقي كانت تصطاد شباب في مستوى أقل منها للغاية، مثلًا: بواب، زبّال، سايس،

ماسح أحذية، سائق، عامل صرف صحي، جناينى، سفرجي.. ودائمًا تشترط عليهم إنها تقابلهم بملابسهم «المتسخة» أو «ملابس الشغل»،

بهجت الدريني مقاطعًا:

دي ست عايزة اخصائي أمراض نفسية يا حسن، واضح إنها دونية أوي ومليانة عِلل.

حسن برهان يرد:

هو احنا بقى فاضيين نعالج يا بهجت، احنا مالنا،

المهم أنا جبت الواد السايس بعد كده وقلت له إني عرفت كل حاجة وبالتفصيل، ولأنه متربي كويس وابن أصول وعدني إنه مش ها يرجع يعمل أي حاجة غلط مع الست دي وها يستغفر ربنا على اللي فات وده طبعًا بعد ما حكى لي كل حاجة، ومنها أمور مخجلة عن الست دي، وعشان كدة يا دكتور بدر لما حكيت أنت موضوع صفاء أنا قلت لك معاك إن الاحتياج للمال مش مبرر لأن أى ست تكون بغية، وحكاية السايس والست دي دليل، لأنها مش محتاجة أي أموال، وزوجة لشخصية عظيمة وأم لأبناء في مراكز كبرى، وتعيش حياة ملكية، ورغم ذلك تمارس البغاء بل وتدفع مقابل له.

المهندس صفوت الدهان:

أحب أقول حاجة مهمة، إن البغاء مش قاصر على الستات بس، ومش شرط لغويًا إن كلمة البغايا هي التي تتكسب من فجورها سواء

مكسب مادي أو رشوة إو إشباع جنسي أو أى مكسب، هناك بغاء يمارسه الرجال يمكن أكثر انحطاطًا من المفهوم الشائع للبغاء، فتجد رجل يجور على زملائه أو يتجمع بعض الرجال بهدف الفساد وإيذاء شخصٍ ما، وممكن يستغل حاجة ست غلبانة ويحولها لبغيّة بقصد أو دون قصد وده البغاء بعينه.

وهناك رجل وصولي عايز يحقق أهدافه بظلم هذا وعلى جثة ذاك، ده كله بغاء يمارسه الرجال وهو بغاء أبشع من الستات البغايا.

في بداية حياتي العملية عندما تخرجت كنت مهندس صغير في شركة هندسية كبيرة وبفضل الله كنت شاطر ومجتهد ومخلص، لكن كان فيه مهندس دفعتي أعرفه وقرفان منه واحنا في الجامعة لكن النصيب جمعنا في مكان واحد لأكتشف فيه مهارات رهيبة في البغاء ربما لم أرها في حياتي، وكانت البداية عندما لمحته مع رئيس الشركة أمام سيارته وكان يستعد لركوب السيارة وفجأة أجده يوقف الرئيس لحد ما ينضف له كرسي القيادة بيده ويغلق عليه الباب ويقدم له تحية رسمية، وهو يقول:

مع السلامة يا سعادة الباشا.

مرة تانية كنا قاعدين بنشتغل بعد مواعيد العمل الرسمية وصاحب الشركة عمل مرور عشان يحفزنا ودخل مكتبي ومعايا طبعًا المهندس زميلي اللي باحكي لكم عنه، صاحب الشركة قال كلام كويس في حقنا احنا الاتنين وشكرنا وقال:

والله أنا عندي مؤتمر مهم النهاردة ويمكن ما اروحش عشان الشغل، الهدوم مستهلكة والجزمة متربة وحاجة يعني كأني في الموقع ليل ونهار ومش باروّح، الراجل كان بيتكلم بود شديد جدًا ومن غير أي مقاصد، لكن فجأة اتنفض زميلي وقال لرئيس الشركة:

أقسم بالله تقلع الجزمة وأنا هالمعها عند الراجل اللي في أول الشارع.

شعر رئيس الشركة بالحرج وقال:

عفوًا يا باشمهندس.

لكن الباشمهندس قلّع الراجل الجزمة بالعافية وحط الجزمة في شنطة اللاب توب بتاعته وقال:

أنا حلفت، عشر دقايق ومش هاتأخر عليك، ولو مفيهاش أي حاجة أنا زي ابنك يعني بعدها هاروح أجيب لك بدلة من البيت.

فرد رئيس الشركة بعد أن تأكد من شخصية زميلى المهندس:

ولو إني هاتعبك لكن ماشي يا نبيل وشكرًا على تعبك واستأذنك وأنت رايح البيت تعدي تجيب ابني من النادي هو واصحابه بعد ما يخلّص تمرين.

ويرد المهندس نبيل وهو فخور:

أنا باشكرك يافندم على الثقة الغالية دي.

ينصرف نبيل لغايته، وأُفاجأ برئيس الشركة بيقول لي: ممكن يا باشمهندس أشرب كوباية شاي من إيدك، الكاتيل والشاي والسكر هنا ومفيش تعب يعني، ومش عارف كان الرد حاضر وبذوق شديد قلت:

الحقيقة يافندم ممكن الشاي اللي هاعمله ميعجبش حضرتك، لكن ممكن أعزمك على شاي من البوفيه.

يكتم صاحب الشركة غضبه ويهم بالانصراف قائلًا:

وعلى إيه أشربه في مكتبي أحسن.

يعتدل صفوت الدهان في جلسته ويلتقط ساندوتش من «الصينية» التي أتى بها بهجت ممتلئة عن آخرها ويأخذ قضمة كبيرة ويقول:

المهندس زميلي ده قدر يدخل جوة عيلة صاحب الشركة في وقت قياسي جدًا وعرف عنهم تفاصيل كتير أهمها إن الراجل أخلاقه مش كويسة برة الشركة لكن جواها كان الحقيقة منضبط جدًا وبيدير المؤسسة زي الساعة، وزاد الانضباط بعد ما بقى نبيل بينقل كل كبيرة وصغيرة لصاحب الشركة بدايةً من مين جه بدري ومين جه متأخّر إلى أدق التفاصيل حتى الشخصية، والكل عرف كده وبقى يتجنب الكلام وهو موجود وطلّعوا عليه اسم أستاذ رويترز.

وطبعًا بعد كده الموضوع تطور مع نبيل خاصةً لمّا واحدة من عاملات النضافة لجأت له لما احتاجت تستلف منه مبلغ كبير عشان جراحة خطيرة لوالدها اللي كان بالنسبة لها كل حاجة، وكانت البنت

جميلة جدًا لكن بائسة، فساومها إنه يعطيها المبلغ مقابل علاقة مع صاحب الشركة، وبعد تهرّب ومرواغة خضعت البنت بعد ما فشلت في توفير تكلفة عملية أبوها.

اشترى لها ملابس فاخرة، ودخل بيها على صاحب الشركة وهي على أفضل ما يكون، تبدو وكأنها ملكة وقال له:

يافندم دي نعيمة عاملة النضافة عندنا والحقيقة هي شاطرة ونشيطة أوي وهي وسطتني عشان تبقى مسئولة عن البوفيه وتشوف طلبات حضرتك وكمان مفيش عندها مانع تشوف طلبات حضرتك في المشربية.

والمشربية دي كانت عبارة عن عوامة على نيل الزمالك يملكها الرجل.

وبعد الحكاية دي بعشرة أيام صدر قرار بترقية المهندس نبيل مدير للمشروعات بالشركة لحد ما وصل نائب لرئيس مجلس الإدارة وتقريبًا بقى كل حاجة داخل المؤسسة وخارجها، كان المسئول الأول عن راحة ورفاهية ومزاج صاحبها، وبالطبع كان دائمًا يقول أن أعداء النجاح بيحقدوا عليه عشان هو ناجح وبيطلّعوا عليه إشاعات لانه بيترقى بمجهوده.

وفى مرة من المرات راح نبيل المشربية عشان توقيع بعض الأوراق وجد صاحب الشركة بيقول له:

إنما النهارده أنا جالي حاجة إيه، ملكة جمال يا ابني،

ويرد نبيل:

كده يا باشا تتصرف من غيري وكمان بتـ.. يقاطعه صاحب الشركة:

أنا مقدرش استغنى عنك بس دي هدية جت لي من صديق حب يعمل معايا واجب فبعت لي البت دي، رغم إنها تخصه لوحده وغالية عنده أوي، ومعاه من فترة وبصراحة البت صاروخ متتسابش.

ويرد نبيل:

أهم حاجة سعادتك وانبساطك يا باشا.

يرد صاحب الشركة:

حبيبي يا بلبل، هاستأذنك توصلّها بعربيتك عشان صديقي اللي بعتها لي السواق اللي عنده حصل له ظرف ومش هايقدر ييجي، وطبعًا مش هاينفع تروّح بتاكسي.

يرد نبيل:

أوامرك يا باشا.

يعتدل المهندس صفوت في جلسته بعد أن يلمح التركيز الشديد من أصدقائه مع ما يسرده، وصمت بعض الوقت وهو ما زاد الأمر إثارة وشغف لديهم، ثم ابتسم وأكمل:

طبعًا تخرج فتاة في غاية الجمال وبملابس مثيرة جدًا تمشي في دلال إلى أن وصلت في مواجهة نبيل، وقد أُصيب بذهول أفقده

صوابه، وفجأة يقف ويأخد سكينة الفاكهة ويقتل صاحب الشركة بكثير من الطعنات، ثم يطعن البنت الجميلة!.

ولأن الجزاء من جنس العمل، فقد كانت البنت الجميلة هي أخته.

نبيل دفع ثمن أفعاله خمسة وعشرين سنة خلف القضبان وجزء منه قتلها بيديه بعد أن تحولت لمجرد واحدة من البغايا.

واللي حكيته لكم ده اعترافاته للنيابة بعد ما اتقبض عليه ونشرتها صفحات الحوادث.

بهجت الدريني:

الحقيقة الموضوع اللي طرحناه والقصص اللي جواه مثيرة جدًا وجديرة بالبحث والدراسة والطرح من زوايا عديدة عشان كده أنا هاعمل مجموعة قصصة من ظلال الواقع وهايبقى اسمها» البغايا «.

لملمت

البِشعة

بعيون باكية تخفيها نظارة شمسية تبدأ سمر في قراءة كتاب بعنوان «البِشعة»، تمرر عيناها على سطوره تارة، تبكي تارةً أخرى، تراقب الطريق عبر نافذة الحافلة التي تقلّها تارةً ثالثة رفقة جزء كبير من عائلتها، بينما على الجانب الآخر زوجها وشقيقه الأصغر ونفر قليل من عائلته يدخنون بشراهة.

تعود سمر لكتابها عبر فقرة جديدة تقول كلماتها: (البشعة، موروث ثقافي قديم، يتم الأخذ به، عندما يحيل القاضي «العرفي»، قضية الخلاف إلى قاضي «المبشّع»، عندما يتنصّل أحد الأشخاص من اتهام موجّه إليه، دون وجود شهود، مما يدفع القاضي العرفي لإحالة القضية إلى القاضي المبشّع؛ للفصل في الخلاف القائم بين طرفي النزاع.

والبِشعة إجراء عنيف، لا يتحمل لهيبه، سوى «صادق القلب» و«سليم النية»، الذي سيقبل إمرار «سكين» أو قطعة من الحديد أشبه بـ«الطاسة»، تحوّل لونها للأحمر - من طول الفترة التي مكثتها على النيران- سيقبل بوضعها على لسانه؛ لبيان من الكاذب ومن الصادق في قضايا الخلاف، ومن اللافت أن يصاب الكاذب في لسانه، بما يُعد

تأكيدًا أمام الحضور، أنه من ارتكب الفعل أو الجريمة، وأن الصادق لا يُصاب بمكروه.

عبّرت الحوادث، عن استخدام البِشعة في الموروث الثقافي البدوي، وتتنوع القضايا المقدمة للبشعة، ما بين الخوض في الأعراض، والسرقات والتعديات على حرمات البيوت والقطاعات، ويعقد القاضي المبشع -كما يلقبونه- جلسة واحدة لإعادة الحقوق إلى أصحابها، لا تقبل نقضًا أو استئنافًا، كما يحصل القاضي على أجر رمزي حسبما يتردد، ويدّعي القائمون على العمل في البشعة، أن سرها يحتفظ به المبشع وحده، ولا يطّلع عليه سواه؛ للاحتفاظ بسر المهنة، و يأتي قاضي «البشعة» عند رقم 11 في قائمة القضاة العرفيين، كما يوجد قاضي «منقع الدم» في قائمة القضاة العرفيين المختصين بنظر جرائم القتل والقصاص.

بينما يأتي القاضي «الضريبي» في الترتيب الثاني، ويختص بإحالة القضايا للقاضي المختص، فيما يأتي القاضي «الأحمدي» في الترتيب الثالث بقائمة القضاة العرفيين، ويختص في جرائم حرمة البيوت والأعراض والتعدّى على الشرف)

تمتد يد على كتف سمر تقطع قراءتها يصاحبها صوت جاسر شقيقها يقول: إحنا وصلنا، تقف الحافلة في منطقة تبدو الصحراء منها على مد البصر وينزل جميع من فيها.

سمر تتأبط ذراع أخيها يتبعهم ذويهم من جانب، والجانب الآخر زوجها محمود يسير رفقة ذويه ويتجه الجميع نحو منزل بسيط من طابق أرضي واحد يبدو عليه الطابع البدوي، يتقدم شخص من الجمع نحو باب المنزل ويطرق برفق وينادي:

يا شيخ طايع .. يا شيخ طايع ..

يفتح الباب فتى يرتدي جلباب ومُدجج بالسلاح تثير هيئته قلق في نفوس الجميع ويتراجع الطارق خطوات للخلف ويقول:

سلام عليكم.. فيه معاد مع الشيخ طايع.

يرد الفتى بلهجة بدوية دون أن يرد السلام:

قضية محمود وسمر.

فيأتى الرد بنعم..

يدعوهم الفتى للدخول إلى القاعة المفروشة على الطراز البدوي ولا يعدو مجلسها سوى وسائد على الأرض قائلًا باقتضاب:

الشيخ على وصول انتظروه هنا وكل طرف ياخد جنب.

ينصاع الجميع لكلام الفتى ودقائق الانتظار القليلة تمر على الجميع كأنها دهر صامت يقطعه دخول الشيخ طايع للقاعة بتحية قوية وبنفس لهجة الفتى البدوية يقول:

السلام عليكم لكل ضيوفنا وأحبابنا.

يرد الجميع السلام بشكل جماعي.

الشيخ طايع عجوز يرتدي الملابس البدوية ويزيد عليها شال أبيض، تبرز ملامحه تخطيه التسعين من العمر وربما مقاربته للمائة عام، يجلس على أريكة تتوسط القاعة في مواجهة الحضور بابتسامة مريحة قائلًا:

أكيد لسه ما شربتوا شيء، احنا نشرب شاي مع بعض.

يلتفت عن يساره حيث يظهر في الخلفية عدد من الرجال يحملون السلاح وكأنهم مُقبلون على حرب، يومىء الشيخ طايع برأسه ويقول بصوت مرتفع فقد نبرته الودودة:

ابعتوا لنا ياقوت يجيب مية للجماعة وبعدين يجيب لنا الشاى.

يرد أحد الرجال:

أمرك يا سيدنا.

يقطع كلمات الترحاب التي يلقيها الشيخ طايع دخول ياقوت، وهو رجل قارب على الخمسين من عمره مشوّه الوجه وخاصةً في منطقة الفم والأنف، ويبدو تعرّضه لحروق في تلك المنطقة، يراقب الشيخ طايع رد فعل الحضور من اشمئزاز واستياء وتجاهل لهذا المنظر البشع، ويبدو أنه كان يقصد الأمر ويريد اختبار شيءٍ ما عبر هذا التصرف.

بحكمة السنين يقول طايع:

يا ياقوت امنح مية ساقعة لضيوفنا الكرام وهات زيادة لأن المجلس سيطول، ثم ينظر طايع للحضور موجهًا حديثه لهم:

تعرفون ياقوت هذا الذي أساءكم شكله هو خادمي الآن، ولكنه قبل ذلك جلس أمامي متهمًا في قضيةٍ ما- ولم يقل الصدق وكذب علي وعلى البِشعة وأصر أن يلحسها بلسانه، فكانت تلك النتيجة بأن تشوّه هكذا وفقد القدرة على الكلام وعلى حاسة الشم، وصار دميم المنظر كما رأيتم، وبعدها أصرّ على أن يكون في خدمتي وخدمة ضيوفي ممن يأتون لاستبيان الحق.

لقد جئتم إلى هنا طوعًا دون إكراه وهذا يعني أنكم سترضون بحكمي طوعًا أو كرهًا، وهذا أهم شروطنا كقضاة عرفيين نلجأ للبِشعة كحل أخير بعد الاستماع لكل الأطراف والفشل في إيجاد حلول بالتراضي، هل لدى أحد أي اعتراض

يومىء الجميع بالموافقة وتصدر أصوات متداخلة:

لا يا شيخ.. تعبيرًا عن نفيهم لأي اعتراض، قائلين:

هو ده الكلام..

يقف الشيخ طايع ويهم بالانصراف ويقول خمس دقائق وأجلس مع الشاكي وهو الزوج محمود على انفراد أستمع إليه ثم الزوجة وبعد ذلك سأعود إليكم لإعلان الحكم أو اللجوء للبِشعة على الملأ هنا.

يتفحّص الشيخ وجه أحد الحضور ويقترب منه ويسأله:

ما صلة قرابتك لأطراف النزاع؟.

فيرتبك الرجل ويرد على الشيخ طايع:

أنا جار لهم جميعًا، وسائق الأتوبيس الذي نقل الجميع إلى هنا، والوسيط الذي رتّب هذا اللقاء العرفي مع مساعدك عبر الهاتف.

يصمت طايع متعجبًا ثم يسأل الحضور:

هل ترضون وجود هذا الرجل في أمر شائك مثل هذا؟!.

يرد جاسر شقيق سمر:

الفضيحة بقت علني في الحي كله، وهذا الرجل نعدّه جميعًا أخًا لنا..

يقاطعه طايع مشيرًا بسبابته للسائق:

اجلس في آخر القاعة ولا تنطق بحرف حتى آخر الجلسة.

يمتثل الرجل وينزوي مُدخنًا سيجارة في أحد أركان القاعة.

في حجرة مجاورة لقاعة الحضور جلس الشيخ طايع يتأمل وجه محمود الجالس أمامه قائلًا:

جئت هنا لتقول وأنا أسمعك، تفضّل.

دموع محمود تسبق كلماته، يصل لحد النحيب.. وبدأ روايته متذكرًا كيف أحب زوجته الابنة الوحيدة للتاجر الكبير صديق والده رحمهما الله، وكيف خطفته بحسن تربيتها وجمالها الصارخ، فأحبها بجنون.

زاد محمود في النحيب قائلًا:

تقدمت لها وعشنا فترة خطوبة لم يحياها رجل وامرأة من قبل، وصلنا لذروة العشق في قصة تندّر لوجودها الجميع، إلى أن تمت مراسم الزفاف في مباركة الأهل بعدما كتبت مؤخر صداق مليون جنيه، لم أتردد في الموافقة عليهم وجهزت عش الزوجية كأفضل ما يكون بمساعدة والدي، تزوجنا وعشنا سنوات في العسل لم ينغصها إلا عدم وجود أبناء بسبب مشاكل صحية لدى زوجتي تمنعها من الإنجاب، رغم ذلك ابتلعت جروحي وكتمت آلامي لشدة حبي لزوجتي، التي قامت هي بإعلان أمر تسببها في عدم الإنجاب أمام كل الأقارب والمعارف.

رغم ذلك كنا نعيش حياة سعيدة للغاية، وزاد من سعادتنا وجود شقيقي الأصغر رامي في حياتنا حيث كان طفلًا عند زواجي من سمر التي تكبره بنحو خمسة وعشرون عامًا، لذا اتخذناه ابنًا لنا خاصةً وأنه كان بعد وفاة أمي يعيش وحيدًا مع أبي في منزل العائلة الذي نقطن به جميعًا، حيث كنت في الطابق الثالث وأبي وشقيقي في الطابق الثاني.

مرت الأيام على وتيرة الحب والسعادة والدفء الكبير طوال السنوات الماضية التي شهدت تغيّر كامل في حياة زوجتي التي صارت أكثر عصبية، بالإضافة لتصرفات غريبة لم أعتد عليها منها، مثل جلوسها بملابس النوم الخفيفة للغاية أمام شقيقي الذي صار شابًا يافعًا مفتول العضلات، وذلك رغم إبلاغي لها بضرورة ارتداء ملابس ساترة

أمام شقيقي الذي لم يعُد صغيرًا. ولكنها لم تكن تمتثل بدعوى أنه مثل ابنها وهي من قامت بتربيته وكانت تحممه وهو طفل، وأن غيرتي عليها ليست في محلها.

رأيت في كلامها بعض المنطق، لكن النار كانت تأكل في وجداني، زادت الأزمات مع تراجع مكاسبي في العمل وباتت تهددنا أزمات مالية غير مسبوقة، لأجد زوجتي تتخلى عني وتذهب لمنزل أسرتها تمكث هناك لمدد طويلة تخطّت الشهر أحيانًا، وكنت أذهب لاسترضائها تارة وأعيدها للمنزل، وتارةً أخرى أرسل شقيقي الأصغر الذي بدأ يقرضني من ميراثه الذي احتفظ هو به ولم يدخل إلا في تجارة محدودة، ووضع نصيبه في البنك بشرائه شهادات استثمار يعيش على فوائدها بجانب مكاسبه من التجارة المحدودة.

يسترسل محمود تسبقه دموعه أمام الشيخ طايع الذى يصغى باهتمام:

زادت سطوة ونفوذ شقيقي وصارت الكلمة التي يقولها بمثابة فرمان سريع التنفيذ داخل منزلي، ومقابل ذلك تراجعت كلمتي داخل بيتي ولم يصبح لي أى دور في إدارة شئون منزلي، والسبب ديوني لأخي التي جعلتني مهزومًا دائمًا داخل بيتي.

زاد ارتيابي في وجود علاقة محرّمة بين زوجتي وشقيقي، ولكني لم أضع يدي على دليل قاطع، إلى أن جاء اليوم المشهود حينما عدت إلى

منزلي وأدخلت المفتاح في كالون باب بيتى وما إن اتفتح الباب لأجد زوجتي شبه عارية على سرير غرفة النوم في حالة نشوة بالغة، بينما شقيقي يتصبب عرقًا يرتدي ملابسه، ويرفع الشورت الذي يرتديه بعد أن أفرغ شهوته منها، فكانت ثورة شهد عليها أهل العقار الذي نسكنه.

تجمعوا على صراخي مع خروج زوجتي وهي تحاول ارتداء ملابسها لتستر نفسها، ومنعوني من الاتصال بالنجدة منعا للفضيحة، في حين أخذ شقيقي يبكي وينفي الأمر ومعه زوجتي، وساقا مبررات واهية لينفيا عنهما تهمة تلويث شرفي وخطيئتهما، إلى أن اجتمع أهل الخبرة من كبار الأسرتين بعد عدة أيام واتفقوا على اللجوء للقاضي العرفي والبِشعة مع التزام الجميع بالحكم أيًا كان. وجئت إلى هنا، وها أنا الآن أمامك يا شيخ طايع طامعًا في الحصول على حقي، والثأر لشرفي من تلك المرأة التي لم تصُن عرضي، وذبحت سمعتي على قارعة الطريق.

اقترب الشيخ طايع من وجه محمود ودقق النظر في عينيه قائلًا:

لكن يا ولدي كل ما قلته لا يعني أن توجه لزوجتك ذاك الاتهام الخطير، يمتعض محمود ويرد:

ضع نفسك مكاني، أنا متأكد من ارتكابها الفاحشة مع أخي وهي تنكر، لذا جئنا إلى هنا لتظهر خيانتها وكذبها.

هز الشيخ طايع رأسه متأملًا في ملامح محمود من جديد وقال:

اتفقنا، انا سمعتك ويجب أن أسمع الطرف الآخر ولنرى ماذا سيحدث بعد التحقيق، إما الحكم أو البِشعة.

ثم اشار لمحمود بالانصراف إلى القاعة الكبرى.

ينهض محمود مع مصاحبة صوت الشيخ طايع:

يا ياقوت .. ياقوت..

يهرول الرجل نحو شيخه الذي يأمره باستدعاء سمر التي تأتي بعدما خلعت نظارتها الشمسية لتبدو امرأة صارخة الجمال تملك قوامًا ممشوقًا، وكأنه منحوت بريشة رسام عالمي، عيناها الخضراوتان تخطفان من ينظر إليهما سكرة وتذهبا عقله، تحتهما أنف أشبه بثمرة النبق، تسكن أسفلها شفاه كحبة كريز ناضجة تنتظر من يقطفها، كل هذا لم يمحُ مسحة الحزن القاتل التي سكنت ملامح سمر البادي عليها الإرهاق والإعياء على المستوى البدني والنفسي.

يشير الشيخ طايع لسمر بالجلوس، فتعدل خصلات شعرها الذهبي المنسدل على كتفيها بكثافة تتجاوز خصرها، بمجرد جلوسها تنفجر دموعها وكأنها شلال لا ينضب.

يهدىء الشيخ طايع من روعها لتنطق بصعوبة:

صعبان عليّ نفسي أوي يا سيدنا من الموقف اللي أنا فيه، واتهامي في شرفي من الراجل اللي منحته كل شيء، صعبان علي نظرة الناس

لي بسبب افترا واحد عاشرني ويعرف أخلاقي كويس، لكن هاقول إيه، حسبنا الله ونعم الوكيل وربنا هيظهر الحق.

الشيخ طايع:

طيب بما إنك عارفة زوجك بيتهمك بإيه يبقى نسمع الرد على كل شيء قاله وخاصةً إنه تحمّلك وإنتي عاقر ولم يطلقك أو يتزوج عليكِ وهو معروف يجب أن تحمله كل امرأة في ظروفك وتحمل زوجها فوق الرأس، سامحيني يا بنتي لكن أنا باكلمك بخبرة السنين في رجال الأيام التي نعيش فيها.

اعتدلت سمر في جلستها بابتسامة ساخرة وأخرجت من حقيبة يدها بعض الأوراق وتعطيها للشيخ الذي ينظر لها متسائلًا:

إيش فيها هذه الأوراق أنا لا أقرأ ولا أكتب لكني أحفظ القرآن كله و....، تقاطعه سمر خليها معاك يبقى أي حد يقرأها لك، دي تحاليل تثبت إن محمود عنده مشاكل صحية تمنعه من الإنجاب نهائيًا، ولن أقولك إنني أخفيت عنه الأمر حفاظًا على مشاعره بشكل أبله مثلما يحدث في أفلام السيما .

لكن هو يعرف جيدًا إنه عقيم ولن ينجب أبدًا، وحينما تأكدنا من هذه النتيجة جلس بين يدي باكيًا متوسلًا بأنه يحبني ولا يريد أن يتركني وأن عائلته لن تصدق أنه عقيم خاصةً وأن جميعهم تسبقهم سمعة

طيبة في أمر الفحولة وإنجاب الذكور بالوراثة، وذلك وفقًا لعقولهم وموروثهم الاجتماعي، وهنا سوف تجبره عائلته على الزواج بأخرى وسينكشف أمره ويكون بمثابة الفضيحة العلنية له.

فطالبني بأن تكون الإجابة أولًا أن كلانا سليم ولا يوجد موانع ولكنه النصيب، وأن نعلن بعدها أن العيب لدي كزوجة ويظهر هو كزوج وفي وكريم يعيش حرمان الأبوة ولا يريد أن يتزوج على زوجته إكرامًا لها.

تصور يا مولانا إن هذه طريقة تفكيره، أناني ولا يهمه إلا نفسه، ورغم ذلك تقبّلت الأمر وتحمّلت قسوة نظرات الجميع وسخريتهم واكتفيت باستقراري وزوجي في بيتنا.

أما هو فقد تبدّلت أحواله بشكل تدريجي وأهمل عمله بسبب أنه تعرّف على مجموعة من أصدقاء السوء الذين استدرجوه لإدمان مادة الهيروين المخدرة، وصار يجلس معهم أكثر مما يفعل أي شيء آخر، ورويدًا رويدًا بدأ يخسر في تجارته ويبيع بخسائر حتى يشتري المخدرات، كما عرف طريقه للنساء الساقطات اللاتي كن يستنزفن أمواله بالإنفاق عليهن تارة وإجلاسه على طاولات القمار تارةً أخرى، وتحوّل إلى مدمن رسميًا، وصار لا يُطاق في المنزل، بالإضافة لسيطرة أفكار غريبة عليه، فكان يظن أن الجميع يراقبه ويضطهده ويتآمر عليه لقتله.

وتطوّر الأمر بمعاناته من هلاوس سمعية وبصرية؛ فكثيرًا ما رأيته يتحدث لأشخاص غير موجودين، أو ادعاؤه بوجود أمه معنا في

المنزل، وبات الأمر لا يُحتمل، وزاد الأمر تعقيدًا أن شقيقه الذي هو بمثابة ابني الذي قمت بتربيته وهو طفل قد صار شابًا ذا عقلًا راجحًا واعتبرني كأمه تمامًا، ولكن زوجي بدأت الأوهام تسيطر على رأسه تدريجيًا بأن هناك علاقة محرّمة بيني وبين شقيقه وصار الأمر كالجحيم.

اتفقنا على أن يتم فحص زوجي من خلال متخصص في الطب النفسي لعلاجه من الإدمان دون أن نخبر أحدًا حفاظًا على سمعة زوجي وعائلته، ولم نلجأ لذلك إلا بعد أن ساءت حالته، وسكنني المرض بسببه حيث أُصبت بالسكري، وداهمتني غيبوبة السكر أكثر من مرة دون علم أحد إلا شقيق زوجي.

وبعد فحص زوجي من خلال أحد أكبر الأطباء في مصر، أشار بضرورة علاجه عبر مصحة واستحالة علاجه في المنزل، لنفاجأ ونحن نستعد لتلك الخطوة بأن زوجي خسر كل أمواله تقريبًا، وأن الديون باتت تلاحقه، فما كان إلا أن تطوّع شقيقه الأصغر وقام بسداد بعض الديون وتكفّل بمصاريف العلاج كاملة، ووقف معي برجولة متناهية للحفاظ على العائلة الكبيرة وأسرتي الصغيرة، واتفقنا ألا تخرج تلك الأسرار لمخلوق في الكون، فكان نعم الابن والسند والأخ أيضًا.

ولكن زوجي كان دائم الهروب من المصحة التي نذهب به إليها ويرجونا أن يتم علاجه في المنزل وهو أمر مستحيل بسبب الحالة التي تنتابه حينما يحتاج لتناول الجرعة المخدرة وكنا نعيده عنوة، وفي المرة

الأخيرة مكث مدة طويلة في المصحة حتى تعافى تمامًا، خرج وعاد للمنزل بشكل شبه طبيعي ولكنه كان صامتًا في أكثر الأحيان ولا يقطع هذا الصمت سوى حديث هامس مع طرف آخر عبر الهاتف المحمول، وبمرور الوقت بدأت أطمئن له ولكن كان يعكر صفو هذا الاطمئنان نظرات زوجي لشقيقه حينما نتحدث في أي شيء من شئون الأسرة أو العائلة.

وصار يتحدث عنه بكراهية لم أعرفها عنه من قبل، ويصاحب ذلك تلميحات منه بأنه غير مطمئن لعلاقتي بشقيقه، وزادت غيرته علي بشدة وكان يختلق المواقف كي يتعدى علي بالضرب، إلى أن جاء اليوم المشهود حيث فضحني زوجي بالباطل رغم أني سترت ضلاله بالحق.

تنهمر دموع سمر حتى تبلل ملابسها،

يربت الشيخ طايع على كتفها قائلًا:

اهدأى يا ابنتي،

حق ربنا هيظهر، اكملي حديثك.

تمسح سمر دموعها بكفي يديها وتستكمل:

في أحد الأيام وأنا في المنزل شعرت باقتراب دخولي غيبوبة سكر فسارعت بالاتصال برامي شقيق زوجي الأصغر كي ينقذني ويعطيني حقنة الإنسولين، وعندما فتح الخط كانت قد داهمتني الغيبوبة وسقط الموبايل من يدي، لأستيقظ بعدها وأجد زوجي يكاد يفتك بشقيقه في

وجود كل جيران العقار الذي نسكن فيه، وبينما أحاول أن أستجمع قواي بعد الإفاقة من الغيبوبة، أجد زوجي يكيل لي السباب أمام الجميع (يا فاجرة.. ياعاهرة يابنت الـ ...) إلى آخر العبارات الوقحة، الموقف كان مهيب.

أردت الاستفهام، فعلمت أن رامي شقيق زوجي هرول صاعدًا إلى شقتنا وفتح الباب لأنه يملك نسخة من المفتاح تحسبًا لهذا الظرف الذي تكرر أكثر من مرة، وبالفعل حملني ووضعني على السرير ووضع الهاتف الذي طلبته منه بجوارى، وقام بسحب الغطاء فوق جسدي الذي لم يكن فوقه سوى قطعة ملابس بيتية واحدة خفيفة، حيث كنت بمفردي ولا أنتظر سوى زوجي، بينما كان هو يرتدي شورت وفانلة داخلية فقط، وبينما هو يمسح عرقه وأنا ملقاة على السرير دخل زوجي الذي استرسل في الاتهامات أمام الجميع:

أخيرًا ظبطتهم، أنا هاطلب البوليس واعمل لهم قضية.

هنا تدخّل أحد العقلاء قائلًا:

ميصحش كده دي بردو بنت ناس وغلطها يلزم أهلها، لكن الفضيحة هاتطول الكل.

كل هذا يحدث وأنا وشقيق زوجي فقدنا النطق من هول الموقف، رامي يحاول التوضيح ولكن لا فائدة، الجيران أبعدوه إلى شقته ونصحوه بأن يلزمها حتى يهدأ الأمر، بينما قام زوجي بالاتصال بأخي

وأبلغه بالواقعة، فجاء جاسر شقيقي على وجه السرعة، ومع دخوله فوجئنا بكل عائلتي تقريبًا بعد أن قام زوجي بالاتصال بهم جميعًا لتكون آثار الفضيحة مضاعفة.

ذهبت إلى منزل عائلتي منهزمة ومظلومة باتهام بشِع في حق أي امرأة، إلى أن استقر الكبار على اللجوء لهُنا لــ « قاضي البِشعة « وارتضى الجميع بذلك. .

اعتدل الشيخ طايع في جلسته ونظر في عيني سمر التي ارتبكت بعض الشيء وحاولت التماسك قائلًا:

يعنى يا بنيتي أنتي معملتيش حاجة تغضب ربنا مع أخو جوزك.

تنفعل سمر:

أقسم بالله ما حصل أي حاجة تغضب ربنا. تدخل في نوبة بكاء هيستيرية يقطعها صوت طايع:

طيب عندك استعداد تمري بلسانك على البِشعة لأجل تثبتي براءتك؟.

ترد سمر بثبات:

أنا مستنية عشان ربنا يرد لي حقي ف حضور الناس كلها.

ينهض الشيخ ويشير لسمر بأن تتبعه، يدخلا قاعة الحضور، تعود سمر لموضعها ويجلس الشيخ طايع في مواجهة الحضور بمفرده ثم

يستدعي محمود وسمر ليجلس الأول عن يمينه وسمر عن يساره وفي الخلف طبق فخّار كبير ممتلىء لآخره بالنار وفوقها مايشبه «طاسة» حديدية بيد طولها تقريبصا خمسون سنتيمترًا، وقد بدا على «الطاسة» الاحمرار الشديد من أثر وضعها على النار مدة طويلة.

يوجّه الشيخ طايع حديثه للحضور:

الطرفان كل واحد مُصرّ على رأيه وهذا موضوع يمس الشرف والعِرض لكن لازم نواجه الطرفين في العلن قبل الاحتكام للبِشعة.

أدار رأسه لمحمود وسأله:

أنت قلت لي واحنا وحدنا إن زوجتك ما بتخلف وسمر قالت لي إنها مش عايبة بأى عيب وإنك المعيوب، صح هذا ولا غلط؟!.

يرتبك الزوج: حصل، بس ده موضوع له ظروفه وسمعة عائلات وكانت فكرتي، والحقيقة هي طلعت بنت أصول واستحملتني فيه، وكمان أنا خيّرتها وقلت لها أن لها حرية الرفض أو القبول ووافقت وإنه يفضل سر ميعرفوش غيري أنا وهي بس وربنا هو الشاهد الوحيد، وأنا شايف إن ده موضوع فرعي مالوش دعوة بأصل الفضيحة اللي هي ارتكبتها.

يستند الشيخ طايع بوجه بشوش على أريكة بجواره:

وهل صحيح يا ولدي إنك كنت مدمن مخدرات واتعالجت في مصحة؟!. محمود يزيد ارتباكه:

أيوة حصل لأن بعد ما أبويا مات حصلت لي صدمة نفسيبة كبيرة ودخلت ف اكتئاب شديد وبقيت آخد مهدئات كتير، وبعدين دخلت في الإدمان عن طريق شلة السوء، بس أنا اتعالجت والحمد لله بقيت كويس، وبردو ده موضوع فرعي مالوش دعوة بالجريمة اللي جايين نثبتها والست دي الـ.... يقاطعه طايع:

لكن يا ولدي الإدمان والحالة النفسية سببوا لك هلوسات وخيالات وزوجتك بتقول إنها لم تغضب ربها أبدًا ومعملتش اللي رميتها بيه، وإن ده كله تهيؤات. .

محمود ينفعل:

حط نفسك مكاني يا شيخنا، واحد دخل لقى مراته وأخوه في الوضع ده تعمل إيه؟!.

متقوليش غيبوبة سكر والفيلم اللي هما الاتنين بيقولوه ده، لأنه ميدخلش عقل طفل، وبعدين بسيطة احنا جينا هنا عشان هي تثبت برائتها.

طايع بغضب:

ولو لحست البشعة بلسانها وطلعت بريئة موقفك إيه؟!.

محمود تنفرج أساريره ثقة في إدانتها:

اللي تحكم به يا شيخنا سيف على رقبتي.

الشيخ العجوز منتشيًا بتوقير محمود له، ولكن تنتاب ملامحه الجدية فجأة: لكن يا ولدي لو ظهرت براءتها قبل أي حكم، لخليها تتف في وجهك، أما هي لو كدابة البِشعة راح تقوم بالواجب.

محمود يومىء برأسه موافق وكذلك سمر.

يتناول الشيخ البِشعة التي صارت كتلة وهج من يدها الطويلة ويخبط عليها عدة مرات بيده ويضعها أمام وجه سمر قائلًا:

هتخرّجي لسانك تلات مرات وتلحسي يا بنيتي.

سمر تومىء برأسها موافقة وهي تتصبب عرقًا.

تتوقف قلوب الحضور، يقف لا إراديًا جاسر شقيق سمر وبجواره أمها، الشيخ طايع:

هيا يا بنتي.

سمر تلعق البِشعة ثلاث مرات دون أن يحدث لها شيء لينطق الشيخ طايع بصوت عال:

براءة .. براءة .. براءة.

تسقط سمر باكية، وتضج القاعة بالصراخ الممزوج بصيحات التهليل والفرح، بل وتطلق نساء عائلتها «الزغاريد»، بينما الكمد يكسو وجوه عائلة محمود، وسط كل هذا يشق جاسر شقيق سمر الحضور

الذين يراقبون الموقف باهتمام بالغ، وإذ بجاسر يصفع محمود على وجهه صفعة مدوية يسقط معها الزوج على الأرض، يندفع من الخلف الرجال المدججين بالسلاح يفضوا الاشتباك بإشارة من الشيخ طايع الذى ينفعل على جاسر بشدة ويوبخه:

أنت في شارع يا أخينا، أنت إيش اللي بتعمله ده.

جاسر يرد:

مِن حرقتي يا شيخنا ده شرفي.

طايع يعلو صوته:

احترم الدار وصاحبها والناس الموجودة والموقف اللي احنا فيه، الراجل المفروض يملك أعصابه، كيف تهين أحد وتضربه على وجهه في حضرة قاضي عرفي.

يدفع طايع جاسر ويسقطه على الأرض مرة أخرى وهو يقول:

غرامة عليك عشرة آلاف جنيه تكتبه في وصل أمانة لمحمود عوضًا عن إهانته. .

يستنهض الشيخ طايع محمود، ويمسك بيده ويجلس كما كان ويلزم الحضور أماكنهم ويصمت الجميع.

الشيخ طايع ينظر لمحمود ويقول له:

ارمي يمين الطلاق على سمر يا ولدي.

محمود بعيون مذبوحة:

أنتي طالق يا سمر.. طالق.. طالق.

يشير الشيخ طايع لأحد مساعديه بإشارة ينصرف على إثرها ثم يعود مسرعًا بدفتر إيصالات أمانة وورق أبيض.

يلتقطهم الشيخ ويتحدث لمحمود بصيغة الأمر وهو يمنحه إيصال أمانة يقطعه من الدفتر:

اكتب ياولدي مبلغ مائة ألف جنيه حق رد شرف لطليقتك، وتكتب إقرار بإنك وقّعت عليه برغبتك دون إكراه بشهادة الشهود وأنا أولهم.

يمتثل محمود مطيعًا لأوامر الشيخ طايع.

تتدخل سمر:

يا سيدنا الشيخ هو كمان كاتب مؤخر صداق نص مليون جنيه يمضي على وصل أمانة بيهم.

يلتفت الشيخ طايع لها غاضبًا:

هذا شيء تسووه بالمحاكم عنديكم، وأنتم ما جيتوا لهنا من أجل هذا الأمر، أقولك.. يلتفت لمحمود:

ارفع وجهك.

يمتثل محمود لكلام الشيخ..

أقولك يا سمر: تفي في وجه طليقك.

فتفعل بحُرقة.

ينتهي محمود من التوقيع على إيصال الأمانة والإقرار يسلمهم للشيخ طايع الذي يلتقطهم ويستدعي جاسر شقيق سمر، يمنحه إيصال الأمانة الذي وقّع عليه محمود ويقول:

هذا حقكم تاخدوه من محمود ولو رفض بينكم القانون وهاحتفظ بالإقرار عندي بتوقيع الشهود حتى يكون سند لكم لو رفض محمود أو تأخر عن دفع التعويض خلال تلاتين يوم.

وأنت وقّع على إيصال أمانة بعشرة آلاف جنيه تردهم لمحمود عشان ضربته على وجهه وخلّصوا المبالغ بيناتكم.

ينصرف الجميع، محمود ومن معه تبدو عليهم الحسرة والهزيمة وعلى العكس يبدو على سمر وعائلتها الانتصار والسعادة البالغة، ويلتقي الجميع عند الحافلة ولكن جاسر يتصدى لصعود محمود ورفقته من الباب يقول بصوت أجش:

مفيش حد منكم هايرجع معانا، روّحوا بمعرفتكم، مفيش مكان هنا للناس الزبالة، يوجّه حديثه للسائق:

واحنا هاندفع الحساب دوبل يا اسطى.

لا يتحمل محمود المشهد في قلب الصحراء فيسقط مغشيًا عليه، صوت سارينة الإسعاف التي جاءت لتنقل محمود للمستشفى، وعلى الباب كان ينتظره رامي شقيقه الأصغر يرافقه للعناية المركزة بعدما أبلغه المُسعف أن شقيقه يعاني من هبوط حاد في الدورة الدموية نتيجة حزن شديد تعرّض له، والإجهاد ونقص الغذاء، وكذلك بعض مضادات الاكتئاب التي يُعالج بها وذلك بعدما أبلغه المرافقين بذلك.

رامي يقف خلف زجاج العناية المركزة يرى شقيقه بحسرة ودموع لا تتوقف، بينما هاتفه المحمول لا يتوقف عن الرنين وهو لا يبالي، لكن المتصل أيضًا لا ييأس إلى أن ينظر رامى لهاتفه.. فيجد (رقم خاص) ما يدل على أهمية الشخص المتصل، يرد رامي: آلو..

الطرف الآخر: أيوة أستاذ رامي، أنا المقدم سيف العجيزي رئيس مباحث العاصمة وكنت عايزك تشرفني ناخد فنجان قهوة سوا.

يرد رامي:

يا فندم أنا أخويا في العناية المركزة ومش ها...

يقاطعه رئيس المباحث:

أنا عايزك بخصوص أخوك وعندي مفاجآت ممكن تبقى في مصلحته.

رامى:

مسافة السكة يافندم وهاكون عندك.

يلتفت لأحد أقاربه الذي يراقب شقيقه من خلف الزجاج: ابقى طمنّي، أنا رايح مشوار نص ساعة وهابقى هنا وخلي الحساب مفتوح.

ينصرف رامي مع بساط الريح، عشر دقائق كانت كافية ليكون جالسًا أمام رئيس المباحث الذي يطلق عبارات الترحاب:

ألف سلامة على محمود أخوك.

يرد رامي متعجلًا الأمر: الله يسلمك، خير يا فندم.

سيف العجيزي: شوف احنا من فترة بنراقب تشكيل عصابي كبير، نشاطهم متنوّع ما بين المخدرات والدعارة وتجارة الأعضاء والسلاح أيضًا، كان لهذا التشكيل الإجرامي شقة فاخرة بوسط البلد يلعبون فيها القمار كتمويه، التشكيل ده كله معروف لنا من زمان وعارفين تاريخ كل واحد فيهم إيه، لكن لمّا المرشد السري بتاعنا بدأ يزرع كاميرات في الشقة دي ظهر أخوك أربع مرات قاعد مع الناس دي وبيلعب، بس شكله مكانش طبيعي وتزامن مع وجود أخوك وجود رقاصة درجة تالتة بتخدّم على القاعدة ومهتمة بأخوك محمود حبتين زيادة، والكاميرات رصدت طبعًا اللي بيلف سجاير حشيش واللي بيشم، واللي واللي..

بس أهم اللي رصدته هو إن الرقاصة دي كانت بتحط لأخوك في القهوة وكاس الخمرة حبوب مرة وبودرة مرة، ومضته على ورق مرتين من الأربعة اللي راح فيهم، وطبعًا عملنا تحرياتنا واتأكدنا إن أخوك مالوش أي علاقة بالناس دي ووجوده كان لهدف تاني مش عارفينه،

عشان كده لمّا قبضنا على التشكيل ده اعترفوا بكل جرايمهم ولمّا سألناهم عن محمود أخوك وسبب وجوده، إعترف واحد منهم أنه كان بيقدم خدمة لصديق له اسمه جاسر وهو اللي جاب الرقاصة دي عشان تبسط محمود ده، وقال المجرم ده في اعترفاته إن دوره بس كان في إنه يجيب للرقاصة دي عقاقير تخلي محمود ما بين اليقظة والنوم وتخليه يعمل أي حاجة بدون وعي، من غير ما يظهر عليه .

يقطع كلام رئيس المباحث طرق على الباب، يدخل الساعى:

تحت أمرك يافندم.

سيف العجيزي موجهًا حديثه لرامي:

تشرب إيه يا ...

رامي يقاطعه بغضب مكتوم:

يا فندم أنا عايز حضرتك تكمّل اللي بتقوله، أرجوك.

يصرف رئيس المباحث الساعي ويكمل الحديث:

أنا عارف إزاي أنت قلقان على أخوك، بس لازم تهدى عشان الموضوع مش صغير.

رامى يومىء برأسه:

اتفضل يا فندم.

رئيس المباحث:

اعتراف الراجل ده مكانش كفاية عشان نعرف إيه المقصود بالظبط فقبضنا على الرقاصة رغم إنها بردو مالهاش علاقة بالعصابة، لكنها اعترفت إنها صاحبة جاسر اللي هو أخو مرات محمود أخوك، واتفق معاها على إنها تحط لأخوك المخدرات وتخليه مُغيّب وتمضّيه على أوراق بيضاء وإيصالات أمانة على بياض مقابل خمسين ألف جنيه، ودورها ينتهي لحد هنا.

في نفس التوقيت رصدت كاميرات أحد البنوك أخوك ومراته وأخوها جاسر وهما داخلين فرع لبنك شهير في وسط البلد، وعرفنا إن أخوك له حساب هناك ولما سألنا في البنك عرفنا إن أخوك حوّل كل الفلوس اللي في حسابه لمراته، ولما ناقشنا الموظف المختص قال إنه يعرف محمود كويس لأنه عميل قديم بس اليوم ده كان حاسس إن محمود لسانه تقيل ومش طبيعي لكن كان بيتكلم بثبات، حتى كرر عليه الموظف السؤال:

حضرتك هاتحول للمدام الرصيد كله ؟!.

فكانت الإجابة مكررة أيضًا بـ «أيوة»!.

عشان كده احنا بعتنا نجيب سمر مرات أخوك وجاسر أخوها نواجههم بعضو العصابة والرقاصة ونفهم بقى إيه الموضوع، والحقيقة

أنا كنت هاكلمك بكرة لكن عرفنا بموضوع البِشعة ده واللي حصل لمحمود فعجلت بالاتصال يمكن حالته تتحسن لما يعرف الحقيقة.

رامي يشعل السيجارة العاشرة تقريبًا، ويضع رأسه بين يديه، يبكي بشدة، وينطق:

لا حول ولا قوة إلا بالله، هي الفلوس تعمل كده، فهمت، بس للأسف متأخر أوي يا سيف بيه.

يواصل البكاء.. يقطعه طرقات على باب رئيس المباحث، يدخل رجل بزي الشرطة يبلّغه:

سمر وأخوها برة يا فندم.

يرد رئيس المباحث:

هاتهم لي.

تدخل سمر وبجوارها شقيقها ويفزعان من وجود رامي.

يجلس جاسر في ثبات الواثق أمام رئيس المباحث،

خير يا باشا..

رئيس المباحث منفعلًا:

قوم ياض اقف.

ينتفض جاسر ويستكمل، خير يا باشا لو باعت لنا عشان نحل المشكلة مع الناس دي، احنا لينا حق وهناخده بالقانون ومش هانتصالح، دي لامؤاخذة عالم اتهمونا في شرفنا.

رامي يرفع رأسه ويبتسم ساخرًا:

معلش كله بالقانون، وأنا مش جاي اتصالح، أنا جاي أدور على حق أخويا، كله بالقانون.

رئيس المباحث:

حلوة الدخلة دي يا جاسر، عجبتني، وعجبني أدائك.. تصدّق، أنا كنت قربت أصدقك.

جاسر:

خير يا باشا، احنا صحيح غلابة ومالناش وسايط بس لنا حق وهناخده بالقانون، وإذا كانت الناس دي جايبة واسطة عشان أي حاجة، احنا مش هانتنازل أبدًا، ده عرضي وشرف العيلة.

يعود رئيس المباحث بكرسيه للخلف ضاحكًا:

مش بأقولك أداءك هايل، هاتحكيلي لوحدك والا أسألك أنا؟!.

جاسر يبدو عليه القلق الشديد: أحكي لك إيه يا سيف بيه الموضـ...

يقاطعه:

شششش..

هات من الآخر أنت ليه زقيت صاحبك عمّار على محمود جوز أختك عشان يبقى مدمن؟.

جاسر تكفهر ملامحه ولكنه يحاول أن يتماسك:

محصلش يا بيه كل الموضوع إن الراجل كانت حالته النفسية زفت بعد موت أبوه وحبيت افرفشه شوية فقصدت صاحبي عمار لأنه واصل إنه ياخد محمود معاه فـ قاعدة من قعداته الحلوة ويبسطه.. آدي كل الموضوع.

رئيس المباحث:

تمام يبقى نبعت نجيب عمار ونسأله.

يضغط على زر بجوار مكتبه، يدخل رجل الشرطة.

سيف العجيزي:

هات لي عمار من الحجز يا ابني، يضرب رجل الشرطة الأرض بقدميه، يذهب ويأتي بعمار الذي ينظر لجاسر بلا مبالاة، ثم ينظر لرئيس المباحث الذي يسأله:

هو ده جاسر صاحبك؟.

دون أن ينظر له يجيب عمار:

أيوة يا بيه، وهاقولك نفس الكلام اللي قلته قبل كده،

جاسر قال لي أنا عندي جوز أختي نفسيته وحشة بعد ما أبوه مات وعايزين نبسطه فخده معاك في قعداتك الحلوة بس عايزينه ياخد حاجات

تخليه فايق ومش فايق، صاحى ومش دريان ومبسوط في نفس الوقت، فعملت اللي قال لي عليه وكنت باجيب المخدرات واديها للرقاصة تونة وهي كانت بتتعامل وتحطها بطريقتها لمحمود غير كده معرفش حاجة.

رئيس المباحث:

يعني جاسر مش معاك في العصابة.

عمار:

لا يا بيه.

رئيس المباحث يأمر الشرطي بإعادة عمار وإحضار الراقصة تونة.

رئيس المباحث موجّهًا حديثه لجاسر:

واتفقت مع تونة على إيه بقى يا جاسر أفندي.

جاسر:

نفس الكلام قلته للرقّاصة عايزين نبسط جوز أختي

رئيس المباحث:

تبسط جوز أختك بإنك تغيّبه عن الوعي وتمضّيه على ورق أبيض وتخرب له مخه بالمخدرات، دي حاجة حلوة أوي.

تدخل الراقصة تونة رفقة رجل الشرطة، تقف في مواجهة رئيس المباحث، يسألها:

هو ده جاسر يا بت اللي حرّضك تخدري محمود وتمضّيه؟.

الراقصة:

أيوة يا بيه وقال لي متسأليش، اعملي اللي بأقولك عليه وهاديلك خمسين ألف جنيه، فكنت باخد المخدرات اللي بيجيبها لي عمار واحطها لمحمود في القهوة أو الخمرة لحد ما يبقى واعي ومش واعي في نفس الوقت، وأول مرة يعني .. يعني كده دخلنا مع بعض أوضة النوم يا بيه وكدة يعني، وهو كان ضايع خالص ومضيته جوه على ورق أبيض مرة، والمرة التانية كله كان سكران ومضيته جنب البار بتاع الشقة.

رئيس المباحث:

إيه رأيك يا جاسر في الكلام ده؟.

جاسر تخور قواه، يتلعثم:

ياااا، يا باشا الكلام ده كله غلط، أنا عايز احفظ حق أختى لأن محمود كان مبهدلها معاه وهو راجل مريض ومدمن، و....

رئيس المباحث وهو يضغط على زر استدعاء رجل الشرطة:

يعني محصلش ولا بتحفظ حق أختك!.

خد الاتنين في الحجز دلوقتي.

يجرّ رجل الشرطة جاسر من يده ويشير للراقصة بالخروج:

يلا يا ختي، ويخرج ثلاثتهم ورامي يراقب مذهولًا دون أن ينطق.

رئيس المباحث ينظر لسمر التي وقعت على الأرض مغشيًا عليها بعد أن دارت بها الدنيا وتزلزلت من تحت أقدامها من وقع ما حدث أمامها من اعترافات وتهاوي خطتها وكشفها.

يتحرك رئيس المباحث وهو يمسك بزجاجة عطر يرش بها على وجه وأنف سمر التي بدأت تفيق وتتماسك وتستأذن في الجلوس لأن قدماها لا تحملانها فيأذن لها بذلك.

تجلس في مواجهة رامي وأمام رئيس المباحث:

أنا هاعترف بكل حاجة يا بيه.

رئيس المباحث ينظر لها قائلًا:

شاطرة يا سمر هاتوفري على نفسك وعلينا كتير.

يرفع سماعة هاتف أرضي بجوار مكتبه:

آلو، سيادة النقيب، من فضلك عندنا قضية كبيرة وهانفتح محضر وناخد اعتراف رسمي ف استأذنك تنورني ونساعد بعض في كتابة الاعترفات.

يرد الطرف الآخر:

تعليماتك يا باشا، شرف لي أي تعاون مع معاليك.

خلال ثواني يحضر النقيب أشرف بملف أوراق بيضاء ويجلس بجوار رئيس مباحث العاصمة مديرية الأمن، يفتح أوراقه.

رئيس المباحث:

هاه يا سمر قولي لي بقى اللي حصل.

سمر يجف حلقها فتلتقط كوبًا من الماء ترتشفه مرة واحدة:

بصراحة احنا كنا عايشين كويس أوي أنا ومحمود جوزي لحد ما حمايا مات، فمحمود حصلت له صدمة كبيرة لأنه كان مرتبط بأبوه أوي، وعرضناه على دكتور نفساني فقال عنده اكتئاب شديد وبدأ يهلوس ويشوف ناس مش موجودة.

وفي مرة أخويا جاسر كان عندي وشافه وهو في الحالة دي فقال لي الراجل ده هايتجنن ولو ده حصل مش هاطول منه حاجة، لا فلوسه اللي ورثها ولا تجارته ولا حتى نص البيت اللي احنا قاعدين فيه، فقلقت بصراحة بعد ما اقتنعت بكلام جاسر وإن محمود مش هايخف أبدًا ولا هايعرف يشوف شغله وممكن حد يضحك عليه، وأخويا كان عليه ديون كتير فأقنعني إنه بدل المهدئات وأدوية الاكتئاب اللي كان الدكتور كاتبها لمحمود، هو هاجيب له حاجات تخليه تحت السيطرة، وفعلًا جاب لي الحاجات دي وبقيت أحطها لمحمود في الأكل لحد ما بقى تمام وبقى مدمن مخدرات كمان وكل ده وهو مش دريان.

في البداية خفنا لأنه اتشنج أول مرة، لكن بعد كده عادي، وفي سهرة من السهرات اللي جاسر كان مظبطها لمحمود خلى الرقّاصة تسكره وتمضّيه على وصل أمانة وورق أبيض، ده أول مرة، وتاني يوم جاسر باع وصل الأمانة لواحد من اللي بيلعبوا قمار مع محمود اللي اتفاجىء بالراجل بيقوله هاتسدد وصل الأمانة امتى اللي كتبته لي امبارح بعد ما خسرت؟!.

ولأن الخيال مختلط بالواقع عنده، فلم يماطل محمود وقال له بكرة أجيب لك الفلوس من البنك، كان جاسر يريد فقط أن يختبر حالة محمود هل هو يقظ وواعي للي بيحصل ولا لأ، ولما عدت المرة الأولى واتأكدنا إن محمود مبيبقاش في وعيه، كررنا الموضوع لحد ما أخدناه البنك وحوّل كل الفلوس اللي في حسابه لحسابي، كانوا تقريبًا اتنين مليون جنيه، وكان معانا ووقع بنفسه أمام الجميع.

وبعد كده أوهمناه إنه خسر كل فلوسه في القمار وفي تجارته الخاسرة وكمان ديونه، وبدأت آخد من أخوه الصغير رامي كل الفلوس اللي تطولها إيدي منه بحجة علاج أخوه وسداد ديونه، بعد ما كنا بنبيع إيصالات الأمانة لناس أغراب وناخد أنا وجاسر الفلوس.

فنظر لها رامي وبكى بنحيب قطعه استكمال سمر لكلامها:

والحقيقة رامي كان بيثق فيّ أوي وكان بيصرف على بيتي وعلاج أخوه ببذخ شديد لأنه كان بيحبه أوي، بعدها بدأت أرسم الخطة عشان

أخلي محمود يشك إن فيه علاقة مش مظبوطة بيني وبين أخوه وكان الموضوع سهل لأن حالة محمود بقت مهيأة لأي حاجة لحد ما جه اليوم اللي ظبطنا فيه محمود، وبالقدر فعلًا جت لي غيبوبة سكر ورامي طلع أنقذني بعد ما رنيت عليه من تليفوني وصدفة جه محمود واتغير الترتيب بشكل بسيط لكن لصالحي بردو فكأن محمود ظبطني مع رامي.

رئيس المباحث مقاطعًا سمر:

طيب كانت خطتك الأساسية إيه؟.

سمر تشهق بعمق:

إن محمود يظبُتني مع رامي بأي شكل فيقتله وبعد كده أدخّل محمود المصحة وآخد نص البيت لأنه باعه لي أو بمعنى أصح أنا زورت وبعته لنفسي بورقة من اللي كان ماضيهم على بياض.

وكده كان البيت كله هايبقى بتاعي لأن محمود الوريث الوحيد لرامي اللي كان هايبقى قتيل شرف على يد أخوه، لكن اللي حصل ده مكانش مترتّب له يوم ما اتظبطنا. اللي حصل إن الناس لحقت محمود قبل ما يقتل رامي فوجّهنا أنا وجاسر التيار لمصلحتنا فاختلقنا موضوع البِشعة ده وهو حقيقي لإني روحت خضعت للتجربة..

إجابة سؤالها إني فعلًا معملتش حاجة وحشة مع رامي ولحس لساني البِشعة وأنا صادقة.

رئيس المباحث:

عندك حاجة تاني تقوليها يا سمر؟.

سمر وهي تنهض وتبكي بحُرقة:

عايزة أقول لرامي ومحمود ولربنا أنا آسفة إني بقيت زبالة كده.

رئيس المباحث:

إن شاء الله لما تروحي له ابقي قولي اللي إنتي عايزاه.

تعالى امضي على أقوالك..

صوت هاتف رامي يرن بتواصل، يجد على الشاشة اسم شقيقه محمود فيبتسم مع دموعه وينظر لرئيس المباحث:

بعد إذنك يا فندم هارد على التليفون الظاهر إن محمود فاق وبيكلمني أهو. رئيس المباحث:

أه طبعًا اتفضل.

يرد رامي:

أيوة يا حوده.

على الطرف الآخر:

أنا حسن ابن عمك يارامي، محمود أخوك تعيش أنت..

تمت

ذئب جريح

لم يكن هشام عبد الله موظفًا عاديًا بتلك المؤسسة الحكومية فرغم أن مظهره وخلقته وتكوينه الجسماني عاديين للغاية بالنسبة لزملائه، إلا أن سيرته كزير نساء كانت تسبقه لأي مكان أو قطاع أو هيئة داخل تلك المؤسسة، وكذلك كان قُدامى النساء يحذّرن الموظفات الجُدد من دهاء ومكر وخديعة هشام وطُرقه المختلفة في جذب النساء إليه.

وقد كان هشام يتلذذ بهذا الأمر رغم أنه لم يسعَ إطلاقًا لمضاجعة أي امرأة وكان يتراجع فور دخول علاقته مع أي امراة تلك المنطقة – غرفة النوم – ولم يكن يعرف السبب لذلك، فهو منذ زواجه لم يذُق طعم الخيانة الزوجية إلا مرة واحدة وكانت مع جارته اللعوب صارخة الجمال والتي كان زوجها كثير المبيت خارج المنزل بحكم عمله، وكانت هي التي أعطته إشارات الشجاعة للاقتراب منها وممارسة الجنس معها.

في آخر يوم له وزوجته في ذلك المسكن المؤقت، حيث كان قد قام بإخلائه قبل نهاية عقده بيومين وعاد دون زوجته ليحصل على مبلغ التأمين من مالك الشقة، ولكنه فى ذلك اليوم لم يذهب إلى عمله فقد اتفق مع جارته تليفونيًا قبل الزيارة بيوم واحد ليختبر مدى استعدادها

لاستقباله فوجد ترحيبًا هائلًا، وبالفعل ذهب إليها مبكرًا دون أن يخبر زوجته بعدم ذهابه للعمل وأرسلت نادية جارته الحسناء ابنها الوحيد الذى لم يتعدَ الثمان سنوات ليلهو في الشارع.

ودون أى كلام أو مقدمات بدأ هشام يتحسس جسد نادية بيديه الناعمتين وضمها إليه ونزل بيده على خصرها ومنحها قبلة طويلة كانت أشبه بقبلات أفلام السينما وهي أيضًا لم تدخر جهدًا في تحسس جسده والتهام عنقه بين شفاها، وحينما همّ بمواقعتها أصرت الدخول إلى غرفة النوم فحملها بقميص نوم لا يستر من جسدها أكثر مما يكشف، ثم ألقاها على السرير برفق شديد وظل يتحسس بلسانه ما يطوله، بينما هي تقاومه بعنف وكلما فعلت ذلك زادت رغبته فيها ولعًا، وعاد الكرة عدة مرات وانتهت تلك المرة دون رجعة.

ولكن لم يتوقف عن جذب النساء إليه ولكن بات أمر ممارسة الجنس خطًا أحمرًا لا يتعداه أبدًا مهما تتطور العلاقة التي من الممكن أن تشهد قبلة في حديقة أو أسانسير، أو حضن دافىء وضمة صدر خلف باب مكتب مغلق.

وكان يشغل هشام طوال الوقت كيفية محاولة الابتعاد عن النساء وبدأ صفحة جديدة في حياته، وكان بالفعل يفعل ذلك من آنٍ لآخر ولكن سرعان ما كان يعود إلى سابق عهده مع النساء، ولكن ذات مرة استغل خلافًا مع مديرته في العمل للنقل مكان آخر رغبةً منه ومحاولة لإصلاح نفسه، وتحقق له بالفعل ما أراد وذهب لإدارة جديدة.

وبدأ العمل في عزلة اختيارية عن زملائه من النساء، بل وكان حادًا للغاية في تعاملاته وحديثه معهم، وكان هشام يعشق عمله؛ لذا سرعان ما كانت تتم ترقيته، فذهب لمكان عمله الجديد وتحت إدارته أكثر من 15 موظف وموظفة وكان هناك الكثير من القيادات مَن هُم في عمر هشام يحسدونه على ما هو فيه.

تمر الأيام سريعًا وأخضع هشام نفسه لأن يكون موظفًا تقليديًا، ورغم ذلك كان بداخله ولِعَ بزميلته أماني ذات الجمال الأخّاذ والرقة البالغة، وكانت نفسه تتوق دومًا لوجودها بجواره في المكتب، وكان يبدو لنفسه فقط شديد العصبية حينما تغيب أماني أو تتأخر عن موعد حضورها وسار هشام يراقب نفسه بشدة فلاحظ أنها جذبته وتسللت إليه دون أن يدري.

ولأن الطبع يغلب التطبّع فقد بدأ هشام في مشاغلة أماني مثل كثير ممن سبقوها وسار يتعامل معها بشكل خاص جدًا سواء في السر أو العلن، بل وتجاوز الأمر ليمنحها دون غيرها بعض الصلاحيات والامتيازات في العمل، كل ذلك وأماني تتعجب من طريقة معاملة هشام لها، ولكن هذا لم يخفِ سعادتها بتلك الحالة الجديدة في حياتها والاهتمام البالغ والمُبالَغ فيه من هشام تجاهها.

ورغم أن أماني كانت تلفت نظر هشام دائمًا لأنها امرأة متزوجة ولديها أبناء، إلا أنه كان يتجاهل الأمر تمامًا ويستمر ويصر على طريقة معاملته

الخاصة لها، بل كان يزيد في الأمر كي يوقعها في براثنه مثل كل من سبقوها وتكون ضحية جديدة ترضي رغبته الغامضة فيما يفعله مع النساء.

وتدريجيًا بدأت أماني تميل لهشام بعد أن شعرت معه بالتقدير والأمان الكامل والحب أيضًا، فهو يفرز أحاسيس تغذي مشاعرها بشكل حالم، ووسط كل ما يحدث كان كل الزملاء يلتهمون سيرة هشام وأماني على طبق النميمة سواء الجانبية أو حتى المُعلنة في صورة مزاح، ولم يلتفت هشام وأماني للأمر، فالحال بينهم لم يكن إلا غفوة قد تجاوزت مرحلة الانتباه من قدوم أي أخطار ومشاكل.

ومع مرور الوقت أصبح وقت العمل لا يغني كل من هشام وأماني للاستمتاع ولو حتى بالحديث سويًا، وعرَض هشام فكرة اللقاء خارج أسوار المؤسسة التي يعملان بها فرحبت أماني على الفور، وبالفعل تمت لقاءات عديدة ما بين الحدائق والمنتزهات العامة ودور العرض السينمائي وعيادات الأطباء أيضًا، حيث كان الوجود بها الحجة الأساسية، لتظل أماني خارج المنزل أطول وقت ممكن بعلم زوجها. حيث كان ابنها الأصغر يعاني من مشاكل بسيطة في النطق، ولأن الأمر لم يعد محتملًا، فقد تقدّم عدد ليس بالقليل من زملاء هشام وأماني بعدة شكاوى شفوية لأحد القيادات الكبرى، والذي كان يدافع عن هشام باستماتة ويقسم للجميع أنه قد تغيّر كُليًا، وكان الجميع ينصرفون وهم يجرون ذيول الفشل في الإطاحة بهشام من مكانه وإبعاده تمامًا.

وبعد علم هشام بشكاوى زملائه؛ قرر أن يواجه نفسه بحقيقة الأمر فتوصّل إلى أنه أحب أماني بصدق وأنها الحب الوحيد الحقيقي في حياته، ولكنه غير متأكد ولا يصدق تلك الفكرة فهو لم يختبر الأمر بعد، فأماني ليست ككل النساء اللاتي عرفهن وأذاقهن من كأس متعته وحنانه وتركهم في النهاية فجأة دون مبررات.

أمّا أماني فقد سارت لا تعرف للحياة معنى بدونه، بل لم تكن تبالغ حينما كانت تقول لهشام أنه روحها وكل شيء لها في الدنيا؛ لذا سرعان ما عرض هشام عليها لقاء في مسكنه الخالي من الزوجة والأبناء لزيارتهم لحماته، لم تتردد أماني ولم تفكر أصلًا في الأمر وأعلنت موافقة فورية، وتم اللقاء وسط سكون الحي الذي يقطن به هشام، الذي بادل أماني قبلات حارة بعد اعترافات متبادلة بالحب والعشق، وخلع كل منهما ملابسه برفق شديد وسط أضواء خافتة وبدأ هشام في مداعبة حبيبته التي سارت كقطعة ملبن سلمت جسدها لرجل جائع منذ عصور، وكانت المفاجأة لهشام نفسه قبل أماني وهي أنه يرغبها بشدة ولكنه لا يريد أن يضاجعها خوفًا عليها من شعور بالذنب قد يمر بها ولو بشكل عابر، أو ينتابها شعور بأنها امرأة رخيصة فتندم للحظة.

وكم كان الموقف مؤثرًا للغاية حينما أخبرها بذلك فدمعت عيناهما وتعانقا بشدة وقامت هي بتقبيل قدمه والارتماء بين أحضانه، وهنا أدرك هشام أنه لن يستطيع الابتعاد عن أماني أبدًا، كما أدرك أنه أمينًا عليها ولابد أن يظل كذلك إلى الأبد.

لملم هشام بقاياه وكذلك أماني بعد أن اتفقا على عدم الفراق وأن يقوم كل منهما باتخاذ الترتيبات اللازمة للطلاق حتى يتزوجا ولا يقترفان أي خطأ يندمان عليه، أو يكونا خائنين.

وبعد هذا اللقاء باتت علاقة هشام وأماني تأخذ علانية غير مقبولة بالمرة أمام الجميع، حيث أصبحت أماني تأتي لهشام بالإفطار وتضعه على مكتبه أمام الجميع، وكان هو لا يخجل من إراحتها في العمل أو إعداد كوبًا من الشاي لها، أو يجعلها تنصرف قبل انتهاء مواعيد العمل لقضاء بعض الأمور التي كان من بينها لقاءاتهم بالأماكن العامة، حيث شاهدهم زملاؤهم أكثر من مرة مما أثار رئيسها في العمل (أسامة) والذي كان يعتبر أماني أحد أملاكه الخاصة، فقد كان يتودد إليها ولكنها كانت تصده بشكل حاد جدًا، لدرجة أنه حذّرها بشكل مباشر من علاقتها بهشام ونصحها بقطع تلك العلاقة، ولكنها لم تكن تلتفت له، ولعلمها أنه كان يرغب في علاقة جنسية معها، لا لشيء آخر ولكنه يفشل في أن يحصل على أي شيء منها، حتى الابتسامة المصطنعة. لأنها ترى أنها ليست عاهرة.

تسير الحياة على تلك الوتيرة هشام أهمل زوجته بشكل تام لدرجة أنه سار لا يضاجعها إلا على فترات طويلة تجاوزت الستة أشهر؛ مما وضع زوجته في حالة نفسية سيئة خاصةً وأنها علمت بحبه لأماني من خلال الرسائل المتبادلة على الهاتف المحمول، ولكنها كانت تؤجل المواجهة دومًا لحين اعتراف زوجها لها، وحرصًا على استقرار المنزل وحفاظًا على أبنائهم.

أمّا أماني فكانت تستسلم لزوجها كجسد بلا روح أو أدنى إحساس به، ومصدر سعادتها الوحيد في لقائها الجنسي بزوجها أنها كانت ترى حبيبها هشام في صورة زوجها، وسرعان ما ينتهي الأمر لترى زوجها فتنفر منه بشدة وتعقد العزم على عدم معاودة الكرة مرة أخرى، ولكن في المرة الأخيرة كان الأمر مختلفًا، فقد امتنعت أماني تمامًا عن زوجها بعد الاستعداد الكامل للقاء جنسي ملتهب فنهض الزوج متالمًا ومجروحًا من بغض زوجته له في الفراش.

وبعد وصول العلاقة بين هشام وزوجته، وأماني وزوجها لهذا الحد، لم يكن يُطاق أن يبتعد أيٌّ منهما عن الآخر؛ فاتخذا سويًا قرار المواجهة وإنهاء العلاقة حتى يتزوجا، ولكن جاء القرار متأخرًا جدًا حيث قام رئيس أماني في العمل بسرقة بعض الشيكات المالية الموجودة بحوزتها كعهدة ليُلحق بها ضرر، وبالفعل تم له ما أراد، وهنا اتجهت اصابع الاتهام إلى هشام بتحريض من العاملين الذين تآمروا عليه لإقصائه من مكانه، ولكن هشام ظل متماسكًا لمدة طويلة حتى تم تسوية الأمر.

ولم يكن هذا شفيعًا له كي لا يفارق محبوبته حيث تزامن في نفس الوقت أن قام زوج أماني بتسجيل مكالمات تليفونية ساخنة بين العاشقين هشام وأماني تكشف العلاقة بينهما، ولم تخلُ تلك المكالمات بالطبع من السخرية والتهكّم على زوج أماني وزوجة هشام المخدوعين، وقام بمواجهة زوجته، واستغل الأمر فلقّنها علقة ساخنة وجعلها توقّع تنازل عن كافة حقوقها الزوجية حتى الأبناء تتنازل عن

حضانتهم، كما وقّعت على إيصالات أمانة وأوراق بيضاء لا تحتوى أي كتابة؛ كي يستخدمها وقت اللزوم.

وعلى جانب آخر قام الزوج بتهديد هشام بالتسجيلات التي تحمل الكثير من أسرار العمل، وتكشف أحداث تعد كوارث، وكان التهديد يحمل اتفاقًا بأن يبتعد هشام عن أماني مقابل إخفاء التسجيلات.

تم نقل هشام من مكان عمله بشكل مهين للغاية بعد أن دبّر زملاؤه مكيدة كبرى أطاحت به كي يعمل في أرشيف المؤسسة ببدروم إحدى المباني المتهالكة، ولم ينته الأمر عند ذلك الحد، بل بدأ هشام يتلقى مكالمات هاتفية من حبيبته تحذره من أن زوجها سيؤذيه ويدفع عليه بلطجية لقتله.

ورغم أن حزن هشام في تلك الفترة هو فراقه لمحبوبته، إلا أنه حينما تلقّى هذا التحذير من حبيبته التي منعها زوجها من العمل، تملّكه التوتر وبدا حريصًا في تحركاته وساءت حالته النفسية جدًا، وصار مرتبك السلوك شاحب الوجه دائمًا، رغبته في تناول الطعام تقل تدريجيًا، دائم البكاء لدرجة النحيب وانخفض وزنه بشكل ملحوظ>

بات يفضّل العزلة في حجرة منفصلة بعيدًا عن زوجته وأبنائه وأغلق هاتفه المحمول كي لا يتحدث إلى أحد، وصار كثير النوم للغاية فأصبح من الممكن أن ينام يومان أو ثلاثة أيام متواصلة يقطعهم فقط دخول المرحاض، وكلما قاوم هشام تلك الحالة بمحاولة مداعبة أطفاله أو الخروج للشارع لأي سبب، شعر بالإجهاد الشديد الذي سرعان ما

يعيده إلى حجرة نومه التي جعلها كثكنة من ثكنات القبور، مظلمة ممنوع الاقتراب منها لأي سبب.

كما أصبح هشام كثير الغياب في عمله، وحينما يذهب يبتعد عنه الجميع بسبب رائحته الكريهة لإهماله نظافة نفسه، وحينما استشعر هشام ذلك لجأ للأجازات المرضية الطويلة حتى لا يرى زملاءه في العمل أو يرونه، وظل هشام على هذه الحالة لمدة شهور قليلة، إلى أن فوجيء ذات يوم وهو في حجرته بزميلته أماني توقظه من نومه وهي تجلس بجواره على طرف سريره، وسرعان ما جذبها إليه وهو يبكي ويعاتبها بشدة على انقطاع اتصالها به، وقامت هي بوضع وجهها على صدره ودخلت في نوبة بكاء مقابلة له، وفجأة طرق باب حجرته مصاحبًا صوت زوجته من الخارج يتحدث إليه قائلًا «هشام أنت بتنادى!.. أنت بتتكلم في التليفون!.»

وينهض هشام جاذبًا أماني من يدها كي يخفيها عن عيون زوجته حينما انفتح الباب، ولكنه لا يجد يدها بل يجد سراب، ثم يفتح الباب فجأة باحثًا عنها، إلا أنه يصطدم بزوجته، فيسألها:

ألم يخرج أحدٌ من هنا حالًا؟!.

وتنظر له زوجته برفق وعطف وخوف وتقول له:

لا يا حبيبي وهنا تنفرج أسارير هشام ويمسك بزوجته ويعاتبها برقة ويقول لها:

حبيبي..

ومادمت حبيبك لماذا تتركيني هكذا؟!.

وعلا صوته وأمسك بذراعي زوجته وسار يهز جسدها بقوة وهو يقول: بتسيبيني لوحدي ليه؟.. ليه بتعذبيني.. حرام.. حرام.. حرام يا أماني.. وهنا تصرخ زوجته في وجهه وتقول:

أنا مش أماني.. أنا مش أماني.. أنا ريم مراتك وأم أولادك يا هشام.. حرام عليك بقى..

وهنا ينتفض هشام والذي لم يكن يتحدث إلا إلى حبيبته أماني في صورة زوجته..

وترك هشام زوجته ودخل غرفته دون أن ينطق بكلمة واحدة بعدما أفاق وشعر بحجم الجرح الذي تسبب فيه لزوجته، وسرعان ما استسلم هشام للنوم من جديد وبدأ يعاني من هلاوس سمعية، حيث كثيرًا ما كان يسمع صوت أماني يناديه ويتحدث إليه ولكنه في كل مرة يحدث ذلك لا يجدها، فيستسلم للبكاء والنوم.

ومع انهياره وجدانيًا واجتماعيًا استشعر هشام أن ما أصبح فيه يحتاج إلى طبيب نفسي.

وتقدّم إلى تلك الخطوة بالفعل والتي قادته لأفضل طبيبة أمراض نفسية وعصبية في العالم العربي وهي الدكتورة منى. واستشعر هشام أن

مصادفة معرفته لتلك الطبيبة ما هي إلا إشارة من الخالق نحو المساعدة على تصحيح مساره للأبد، لذا جاءت أول زيارة له فعّالة جدًا، حيث أبلغته الطبيبة أن وجوده في عيادتها أولى الخطوات نحو الشفاء لأنه استبصر بمرضه وأنه بحاجة لمُعالج وعلاج نفسي يساعداه في الاستشفاء من الاكتئاب الذي أصابه وتسبب له في أعراض الهلاوس السمعية والبصرية والخمول الدائم.

ولكن الطبيبة أرادت أن تعرف أسباب إصابته بهذا الاكتئاب الذي وصفته بالأمر البسيط حتى تشد من أزره وتعجّل بشفائه، لذا سألته أن يتحدث فاستجاب بالفعل هشام ولكنه سألها من أى منطقة في حياته يبدأ؟.

فأعطت له الطبيبة الحرية، فبدأ منذ وطأت قدماه جامعة القاهرة وكان بالفرقة الأولى لكلية الحقوق ويبلغ وقتها من العمر 18 عامًا، وكيف أن مشاعره تعلّقت بإحدى زميلاته وأحبها حبًا شديدًا، وتحمّل الكثير لدرجة أنه هدد أسرته بالانتحار إن لم يرتبط بزميلته، وبالفعل تم الارتباط المبدأي بينهما، ولكن زميلته كانت تتعمد أن تجعله يلهث خلفها ويطاردها، فتارةً تغلق هاتفها المحمول منه وأخرى لا ترد على هاتف المنزل، وثالثة تتغيب عن الكلية لعدة أيام دون أن تبلغه، وهنا بكى هشام بحرقة فطالبته الطبيبة بالتوقّف تمامًا عن السرد، وأبلغته أن الأمر بسيط ولكنه يستلزم عدة جلسات للعلاج النفسي، وهى عبارة عن جلسات حوارية بينهم مع تناول مهدىء ومضاد للاكتئاب خفيف الوطأة لن يؤثر عليه في حالة التوقف عن تناوله.

وتفهّم هشام الأمر وعاد لمنزله ليخبر زوجته بأمر ذهابه للطبيبة النفسية ويطلب منها إحضار العقار الذي وصفته له الطبيبة فتبدي الزوجة انزعاجها، ولكنه يطمئنها بما قالته له الطبيبة، يعود هشام للدكتورة منى مستسلمًا لأسئلتها بشكل أكثر أريحية في كل جلسة عن سابقتها، حيث استكمل حديثه عن ارتباطه بزميلة الجامعة وأنها رغم كل العذاب الذي أذاقته إياه، عادت وتركته دون أى أسباب ولم تفلح محاولاته لاستردادها وإعادتها لحياته، فغضب بشدة ولكنه تماسك أمام زملائه بالجامعة بعد أن أصبحت سيرته تلوكها كل الألسنة، فكتم حرقته ووضع غضبه في مذاكرة دروسه، من أجل أن يكون ذا وضع مرموق، وأقنع نفسه أنه لم يكن يحبها، ولكنه حب مراهقة ليس له أساس، معطيًا لنفسه المبرر كي يصير أكثر توافقًا مع نفسه بعد انكساره.

المهم أنه تحقق له ما أراد وكان ينجح بامتياز، إلى أن عاد قلبه ليدق وهو في الفرقة الرابعة وأحب زميلة أخرى سرعان ما أدخلته في أجواء الرومانسية والحياة الحالمة التي طالما تمناها في أعماقه، ولكن هيهات أن تضحك له الحياة، فقصة حبه الجديدة لم تكتمل وتركته من أحبها مثل سابقتها دون مقدمات أو أسباب، ولكنه علم بعد ذلك أن زميلته التي أحبها اتخذت منه معبرًا للوصول لقلب آخر كانت تحبه، والذي كان معهم في الجامعة أيضًا.

لذا كان حزنه كبيرًا ولم يدخل امتحانات الليسانس وقام بتأجيلها للعام التالي، وتكرر التأجيل لانخراطه في العمل الحُرّ وبالكاد استطاع النجاح في الليسانس، وحصل على الوظيفة واشتهر بأنه ذئب النساء.

إلى أن بدأ يسرد قصته مع زميلته أماني والتي تسببت في انهياره، وبعد عدد من الجلسات أبلغته الدكتورة منى أن الجلسة القادمة ستكون الأخيرة وطالبته مبدئيًا بالتوقف عن المهدىء الذي يتناوله مؤقتًا خاصةً وأنه لا يحمل في تركيبته الكيمايائية أى مواد تسبب إدمان العقار.

وبعد تلك الجلسات شعر هشام أنه أفضل كثيرًا وبدأ يطرد من ذاكرته صورة أماني التي تطارده، وينتبه نحو ابنيه ويكثر في التواجد معهم إلى أن جاءت الجلسة الأخيرة وكانت تحمل مفاجأة حيث كانت الطبيبة أكثر رقة ولكن كلامها كان أكثر سخونة من ذي قبل،

حيث أبلغت هشام أنّ ترك زميلاته اللاتي ارتبط بهن في الكلية له دون أسباب تسبب له في عقدة ساعد في ترسيخها بداخله أنه مرهف الحس والمشاعر جدًا، وخلقت عنده نوع من الاكتئاب كان من أعراضه ما يسمى بالإسقاط والتعويض، وهي حيل دفاعية لتحقيق التوافق النفسي في حال حدوث صدمة، وما حدث هو أنه كان يوهم كل امرأة في طريقه أنه يحبها إلى أن تصدّقه وتنهل من بئر حنانه ويتركها فجأة تعاني ألم الفراق وحُرقة الحب، وهذا نوع من الانتقام يقوم به لا شعوريًا بسبب ما حدث له من آلام تسببتا فيها زميلتيه في الدراسة، واختزن عقله الباطن هذا دون أن يدري متوهمًا أنه نسي وتجاوز تلك الأزمات.

كما أشارت الطبيبة إلى أن ما حدث له بعد ذلك من أعراض مرضية ما هو درس إلهي يجب أن يتعلم منه جيدًا، وكان هذا الدرس في ترسيخ مقولة « الجزاء من جنس العمل « فهو كان يفعل ما يفعله مع النساء ولم

يرِد في خياله أن يُصاب بنفس الجرح، ويحب زميلته أماني بصدق أو هكذا تصوّر، وتفرّقهم الظروف لتحدث له تلك الصدمة بسبب توهّمه بحبه لزميلته التي شعر نحوها بأحاسيس مؤقتة بسبب وجودهم في مكانٍ واحدٍ لأوقات طويلة.

وكم كان كلام الطبيبة قدر ما هو مؤلم، قدر ما كان هامًا جدًا لهشام ومواجهة هامة لصالحه، حيث وجد تفسيرًا منطقيًا لِما كان يفعله.

وقبل أن ينهض من تلك الجلسة بكى بكاءً شديدًا أمام الطبيبة التي طمأنته بأنه عوفيّ تمامًا، ولكن عليه أن يشكر الله على النعم التي منحه إياها دون غيره من عملٍ محترم، وزوجة صالحة وأبناء ومستوى اجتماعي جيد.

كما طالبته الدكتورة أن يتقِ الله فيما يفعل.

كان للجلسة النهائية عظيم الأثر على هشام الذي تحوّل تدريجيًا ليكون نموذج للإنسان الفاعل في مجتمعه وأصبح يمارس العديد من الأنشطة الاجتماعية، كما أصبح أكثر قربًا من زوجته ورعايةً لأبنائه. وفي إحدى المناسبات الاجتماعية والتي اصطحب فيها هشام زوجته وأبناءه، وجد أماني وزوجها محمود موجودين بالحفل يسيران في الاتجاه المُعاكس في طُرقة الفندق الكبير، وترك محمود أماني وتقدّم عدة خطوات ليصافح أحد أصدقائه، ونظرت أماني تجاه هشام الذي تجاهلها تمامًا، وأمسك بيد زوجته ليعبُر بها إلى قاعة الاحتفال، وبإحساس الحبيبة قامت ريم بتقبيل يد حبيبها وزوجها هشام.

تمّت

شهيد

لم يكن غريبًا على المستشفى الكبير بحي سالفورد في مقاطعة مانشيستر الكبرى بدولة انجلترا أن تستقبل طبيبًا مصريًا للحصول على درجة الماجيستير والدكتوراة، فكم من طلاب الطب المتفوقين اللذين تخرجوا من الجامعات المصرية ذهبوا إلى المستشفى الشهير للدراسة أو الحصول على درجات علمية أعلى.

صحيح أنه في معظم الأحيان كانت الدولة هي التي ترسلهم في مِنحٍ دراسية تتكلف الكثير، عساهم أن يردوا الجميل لمصر، ولكن للأسف كل مَن ذهب إلى هناك لم يعُد لمصر، ومن أراد العودة يُقتل في ظروف غامضة أو يظل في انجلترا أو يسافر لايٍ من دول أوروبا أو قارة أمريكا، المهم ألّا يعود.

أمام تلك الواجهة العريضة للمستشفى ينزل من تاكسي شابٌ في نهاية العشرينات، تبدو ملامحه عربية إفريقية ويتحدث الانجليزية بطلاقة ويسأل أحد الحرّاس الذي يؤكد له وهو يشير تجاه باب المستشفى بأنه المكان المقصود.

يقوم الشاب بدفع الحساب حاملًا حقيبة سفر كبيرة ويتجه نحو الباب وما هي إلا ثوانٍ ويكون الشاب في مكتب مدير المستشفى

يقف فاغرًا فاه أمام الحائط الذي يحمل الكثير من الشهادات العلمية لمدير المستشفى الذي يقطع دخوله حالة الذهول التي انتابت الشاب، مصافحًا إياه بابتسامة عريضة وهو يقوم بتعريف نفسه إلى الشاب قائلًا:

اسمي دكتور فيجن مدير المستشفى.

ويرد الشاب بالمصافحة والابتسامة مكملًا التعارف:

وأنا محمود برهان طبيب مصري، موفد من مصر للحصول على الدكتوراه في جامعتكم الكبيرة التي تتبعها تلك المستشفى صاحبة السمعة الطيبة.

يشير مدير المستشفى لمحمود بالجلوس وهو يفحص عدة أوراق بملف ضخم.

أما محمود فقد أخذ يتفحص حائط الشهادات الخاص بفيجن الذي وجّه كلامه لمحمود قائلًا: لقد فحصت ملفك بشدة والحقيقة أنه أعجبني للغاية لأنه يوضّح التميّز الكبير والفارق المُفزع بينك وبين الكثير من الأطباء المصريين الذين أتوا هنا من قبل.

ولا أبالغ حينما أقولك إن سيرتك الذاتية وجهودك البحثية تتفوق على الكثير من كبار أطباء المستشفى التي ستدرس بها وأنا يشرفني ويشرف انجلترا كلها أن يكون ضمن باحثيها ودارسيها طبيب في مستواك وأخلاقك.

فابتسم الطبيب الشاب ابتسامة مصحوبة بالذهول وهو ينظر على حائط الشهادات الخاص بمدير المستشفى الذي لاحظ ذلك وابتسم وهو يضغط على زر جانبي في مكتبه، وما هي إلا لحظات حتى حضر أحد العاملين يرتدي زي رسمي خاص بالمستشفى، ويقوم الدكتور فيجن بتعريف العامل بالطبيب المصري ويخبره أنه سيقيم باستراحة الأطباء المُلحقة بنفس المستشفى، فيصافح العامل الطبيب المصري بحدة وهو يقول له:

أنا بيتر مسئول الأمن والدعم الإداري بالمستشفى.

ويبادله محمود برهان التحية وهو يلاحظ بشدة ذلك الصلف والحِدة في التعامل من قِبل بيتر، ولكن برهان يبتسم وهو يصافحه ويقول له: أتمنى ألا أكون ضيفًا ثقيلًا عليكم.

فيرد بيتر بطريقة مستفزة جدًا وبتعالي شديد:

وأنا أيضا أتمنى ألا تكون كذلك،

فينظر برهان لمراقبة رد فعل مدير المستشفى الذي يظهر عليه الغضب المكتوم، ثم ينظر لمحمود بابتسامة ويقول له:

عليك الآن الذهاب مع مستر بيتر لتعرف مكان إقامتك وتستريح من عناء السفر، ولنا لقاء آخر صباح الغد وهنا يوجّه بيتر كلامه باستعلاء شديد لمحمود قائلًا له عليك أن تتبعني الآن.

فيحمل محمود حقيبته المتوسطة الحجم ويوّدع مدير المستشفى سائرًا خلف بيتر، ويسير الاثنان في ممر طويل ينتهي بسلم يوصل إلى مبنى استراحة الأطباء الملحق بالمستشفى.

يمد بيتر يده داخل سترته فيخرج مفتاح يدخله في مكانه فيفتح باب غرفة كبيرة ويدعو برهان بالدخول ويخبره أن تلك ستكون حجرته الخاصة به، وإذا كان لا يثق في أحد عليه أن يقوم بتغيير الكالون على نفقته الخاصة ليكون مفتاح غرفته معه وحده، فيومىء برهان برأسه ثم يكمل بيتر كلامه ويقول:

إن هذا المبنى ستة طوابق كل طابق ثلاث غرف، كل غرفة بها جميع الكماليات، ويقاطعه برهان سائلًا عن وجود اتصال هوائي بشبكة الإنترنت، ويشير بيتر بالإيجاب ثم يكمل حديثه لبرهان:

وكل غرفة بها جميع الكماليات من الـ...

وهنا يتثاءب برهان عنوة ليشعر بيتر بالحرج وينصرف، إلا أن بيتر يعلق على هذا التصرف قائلًا:

إن ما تفعله ما هو إلا عدم لياقة منك، ثم يخرج مغلقًا الباب بعنف شديد يحدث دوي في المبنى الهادىء.

يشعر محمود ببعض الغضب تجاه هذا الرجل ولكنه ينتحي أحد جوانب حجرته جالسًا يدخن سيجارة بعمق شديد وشرود ذهني، وهنا

يقفز لذاكرته يد والدته الحانية تربت على كتفه وتطيّب خاطره بسبب فقدانه حبيبته دينا ابنة الجيران التي كان يعشقها منذ الطفولة وحتى أول أعوام الجامعة، حيث سافرت مع والدتها ذات الأصول التونسية بعد الانفصال عن والدها.

ويبكي محمود بحُرقة تعكس حالة الاكتئاب التي يعاني منها بسبب هجرة حبيبته، يشعر محمود بلسعة سيجارته بين أصابعه.

ما داهمه لم يكن سوى ذكرى مؤلمة قفزت فجأة في ذهنه في أول أيام الغربة.

يقوم محمود بإخراج هاتفه المحمول ليطلب والدته التي شعر بحاجته إليها وبحنانها في أولى أوقاته العصيبة مع الغربة، ويأتي صوت الأم عبر الهاتف ليزيل بعض الحزن عن محمود الذي يخبرها بأنه يتصل لطمأنتها والاطمئنان عليها، وتنتهي المكالمة بدعاء الأم ووعد الابن بالحديث لكل الأسرة عبر موقع التواصل الاجتماعي face book» يقوم محمود بتفريغ حقائبه ويخرج من أول حقيبة حذاء أسود عالي يمسكه متاملًا، ويقوم بارتدائه، وفجأة تصرخ موسيقى التانجو ويقوم محمود راقصًا برفقة زميلته شيماء التي تعرّف عليها من خلال دراسته في مدرسة خاصة لتعليم رقصة التانجو في القاهرة، وكانا يشكلان ثنائيًا رائعًا في الرقص، فقط تمنى الكثيرين أن يكونا مثلهما. تتوقف الموسيقى فجأة ليتوقف محمود عن الرقص أمام ساعة الحائط

عائدًا بذاكرته لغرفته الحالية لتحدق مقلتا عيناه دهشة بسبب مرور ساعة ونصف كاملة على رقص التانجو بمفرده بعدما عاد بخياله شهور عديدة للخلف تذكّر فيها زميلته شيماء، وخطفه خياله طائرًا لتلك الأيام وطاردته مشاهد عِدة من الماضي في أولى ساعات الغربة.

كان محمود يملك جسدًا ذا نسق رياضي رائع بسبب ممارسته الرياضة بانتظام وكان يدرك جيدًا أن الرياضة أهم سبب تحقيق التوافق النفسي وتقليل الضغط العصبي، ولكنه في نفس الوقت يدرك أن ممارسته لرقصة التانجو كان يضعه في حالة مزاجية رائعة وكثيرًا ما ظن أقرانه في مدرسة أو نوادي رقص التانجو أنه يمارس الرقص مخمورًا من فرط نشوته وهو يشارك بجسده الراقص على عزف مقطوعة موسيقية تابلوه فنيًا من لحم ودم.

أنهكت ذكريات الماضي محمود في ليليته الاولى في الغربة فألقى بجسده على السرير وغط في نومٍ عميق لم يوقظه منه سوى طرق شديد على باب حجرته، فينهض محمود سريعًا وينظر لساعة الحائط الموجودة خلفه تشير إلى السابعة مع شعاع بسيط للشمس يخترق الحجرة، فقام محمود بفتح باب الحجرة وعلى وجهه آثار النوم ليجد بيتر بوجهه العبوث يخبره بأن وقت العمل قد حان ولم يتبقى سوى نصف ساعة تكـفي لترتيب نفسه، يومىء محمود برأسه في إشارة بالاستجابة إلى كلام بيتر، لحظات وينطلق محمود نحو حجرة العمليات مباشرةً حيث

قام مدير المستشفى بإسناد التخدير إلى محمود في إحدى جراحات «الزائدة الدودية»، وما لبث أن أثبت مهارة غير عادية أذهلت كل الأطباء الموجودين بحجرة العمليات، وبعدها قام الأطباء بتهنئته على براعته في التخدير، وكان محمود يرد بمزاح أن ما فعله هو أقل إمكانياته.

تمر الأيام ويواصل محمود برهام نشاطه الفذ في التخدير وكان يقوم يوميًا بالحديث إلى أسرته في مصر عبر وسائل التواصل الاجتماعي وإخبارهم بيومياته دومًا.

وفي أحد الأيام وأثناء اتخاذ الإجراءات الطبيعية لإجراء جراحة قلب مفتوح، طلب محمود من فريق العمل على غير العادة مغادرة غرفة العمليات أثناء قيامه بعملية التخدير ولكن رفض الجميع وتشبثوا بالبقاء بل وقاموا بتصعيد الأمر لكبير الأطباء الذى تضامن مع الأطباء وقام بدوره بتصعيد الأمر لمدير المستشفى الذى لم يتوانى وقام باستدعاء محمود.

وقبل أن يبدأ بتوبيخه أمام كبير الأطباء بدأ محمود في الكلام سريعًا موجهًا حديثه لمدير المستشفى بأنه يريد الحديث إليه على انفراد لأمرٍ خطير، فيأمر المدير كبير الأطباء بإدخال طبيب تخدير آخر لجراحة القلب المفتوح بدلًا من محمود وينصرف بالفعل كبير الأطباء ويقوم محمود بإحكام غلق باب مكتب مدير المستشفى إمعانًا في السرية وما هي إلا دقائق ويخرج محمود مسرعًا نحو حجرته بمسكن الأطباء.

وفي الطريق يلتقى بيتر الذي يقف خلف أحد الأعمدة بشكل مريب، وحينما التقتا كل من عين محمود وبيتر يطلق الأخير ابتسامة صفراء ولا يهتم محمود كالعادة ويواصل العدو نحو غرفته والتي يقضي بها خمس دقائق تقريبًا يخرج بعدها حاملًا لحقيبته و يعدو بنفس الحماس تجاه مكتب مدير المستشفى وفي الطريق يلتقي بيتر في نفس المكان وبنفس ضحكته الصفراء، ومحمود أيضًا لا يبالي ويدخل مكتب المدير ويدور بينهما حوار معه امتد لأكثر من ثلاث ساعات ينتهي بقيام مدير المستشفى باستدعاء كبير الأطباء في وجود محمود الذي يجلس منتشيًا كالمنتصر في معركة كبيرة.

ويقوم مدير المستشفى بتوجيه حديثه لكبير الأطباء ويخبره بأن الدكتور محمود له صلاحيات مدير المستشفى فيما يخص التخدير وعليه يجب إبلاغ الأمر لكل الأطباء الموجودين بالمستشفى بشكل شفوي لحين صدور أمر تكليف رسمي يُنشر على الجميع.

يقف كبير الأطباء مذهولًا من تغير الموقف بهذا الشكل وقبل أن يتحدث يقاطعه مدير المستشفى بأن الأمر انتهى وعليه الانصراف إذا أراد.

يلملم كبير الأطباء الحرج الذي تعرّض له ويخرج مسرعًا من مكتب مدير المستشفى ومن فرط الذهول يتعثر في السير ويقع على الأرض ولكنه ينهض مسرعًا مهندمًا لهيئته بعد أن تناثرت بعض الضحكات هنا وهناك ..

ويعود كبير الأطباء ليتحدث إلى نفسه مرة أخرى بأن الأمر بات مفزعًا بسبب ذلك الطبيب المصري الذي صار لغزًا كبيرًا بعد أن حصل على صلاحيات لم تعط لأي من الأطباء منذ عشر سنوات.

وفي اليوم التالي كان مدير المستشفى قد أصدر تعليماته بإعطاء صلاحياته للدكتور محمود برهان فيما يخص التخدير فانقلبت المستشفى رأسصا على عقب وغضب كل الأطباء الموجودين، ولاحظ محمود أن سلوكيات زملائه تغيرت تجاهه وسار التحفّز والحذر سيدا الموقف بينه وزملائه، وكالعادة لم يلتفت برهان لذلك لأنه وضع في رأسه منذ قدومه العمل من أجل حصوله على الدكتوراه.

وماهي إلا دقائق وتم إسناد تخدير جراحة قلب مفتوح لمحمود الذي أعاد طلبه بإخلاء الحجرة تمامًا وهو ما حدث بالفعل وسط تذمّرٍ من الأطباء الجراحين، ودخل محمود الحجرة لممارسة مهام التخدير وبعد دقائق قليلة خرج ليعلن جاهزية الحالة للجراحة وبعدها قام الأطباء الجراحون بممارسة مهام جرّاح القلب المفتوح والتي تمت بنجاح كبير. ولكن بعد ذلك صار جميع من في المستشفى يتساءل عن سر طلب محمود الدائم بإخلاء غرفة العمليات أثناء قيامه بتخدير الحالة.

وتصوروا أنه لا بد أن أمرًا ما يحدث غير طبيعي، وهذا ما ظهر في الجراحة الأخيرة والتيي خرجت بشكل روتيني ومع مرور الوقت كانت ثقة مدير المستشفى بمحمود تزداد، وبالتوازي كانت تزداد كراهية

زملائه له، وما بين كل الأحداث كان يطل السير بيتر بوجهه القبيح وضحكته الصفراء وهو ينظر لمحمود الذي تقدم بعد عدة أسابيع من العمل الشاق لمدير المستشفى بطلب إجازة يومان فقط للراحة وهو ما وافق عليه المدير فورًا.

وكان محمود قد قرر التنزه في مدينة أخرى والبحث عن نادي لتعليم رقصة التانجو أو مركز ليمارس فيه رقصته المحببة إليه، وبالفعل بدأ برهان التجول في المدينة والبحث عن مراده، وبالفعل وصل لمركز كبير لتعليم وممارسة رقصة التانجو التي سمع موسيقاها من الخارج، فقام بالاشتراك الفوري، ودخل لصالة الرقص ويقرر الاقتراب من إحدى الفتيات الموجودات بطبيعة الحال لنفس الهدف، ويتوجه نحو إحداهن ويدعوها للرقص فتوافق على الفور.

ويبدأ محمود في رقص التانجو مع تلك الفتاة بشكل متناغم للغاية وتمر لحظات ويغمض كلاهما عيناه ويفسح الجميع لهم حتى يشاهدوا تلك الحالة الحالمة والرومانسية والأداء العبقري في الرقص لمحمود وتلك الفتاة، ولكن يكسر تلك الحالة فتاة تخترق الجميع حتى تصل إلى محمود وتربت على كتفه برقة فينتبه بغضب، ويستدير للفتاة وبمجرد أن شاهدها أغشي عليه ساقطًا على الأرض ولم يفق محمود إلا في حجرة الطوارىء بمركز الرقص، ليجد دينا حبيبته وجارته ذات الأصل التونسي والتي هجرت مصر إلى تونس مع أمها التونسية بجواره

تمسك بيديه وتساعد الطبيب في إفاقته وتخبره أنها دينا بالفعل وليس حلمًا، وهى بجواره.

فيبكي محمود وهو يعانقها ويترك الطبيب الحجرة مبتسمًا بعدما شاهد من لحظات خاصة بين محمود ودينا والذين انصرفا من مركز الرقص ودخلا في حوار مطول بإحدى الكافيهات، حيث أخبر كلاهما الآخر عن سبب وجوده في انجلترا، حيث قالت دينا أنها بعدما رحلت من مصر إلى تونس مُجبرة بسبب الظروف العائلية، دخلت كلية العلوم المائية في تونس وحصلت على ماجيستير في « كيفية تدوير وتنقية مياه الصرف الصحي وإعادتها صالحة كمياه للشرب» لأن تلك المشكلة كانت تؤرقها جدًا أثناء وجودها في مصر.

كما أخبرت دينا محمود أنها موجودة في انجلترا للحصول على الدكتوراه وأنها فضلت انجلترا عن فرنسا التي تجيد لغتها، وهنا ابتسم حبيب الأمس ليخبرها أنه أيضًا موجود في انجلترا لنفس الأسباب، وأن كل هذا ربما يكون ترتيب إلهي ليلتقيا مرة أخرى، وهنا ابتسمت دينا وسألت محمود عن موضوع البحث أو الرسالة التي يستعد للحصول على درجة الدكتوراه من أجلها.

هنا قام محمود بالقبض على يد دينا وهو يغير الموضوع بذكاء شديد ويسألها عما كانت تفعله طوال السنوات الماضية وكيف كانت تعيش بدونه، ولماذا لم تسأل عنه، فأخبرته أن ذلك موضوع كبير للغاية ومليء

بالجروح ولا ينبغي الحديث فيه في مكان عام، ودعته ليشاركها تناول العشاء بمنزلها حتى يتحدثا بحرية أكثر ويوافق محمود على الفور، وما هي إلا دقائق ويكون على كرسي القيادة بسيارة دينا التي أصرت على أن يقودها محمود وتكون هي بالكرسي المجاور له.

وقد أظهرت دينا مشاعرًا فياضة بالشوق تجاه محمود الذي يشعرها وكأنه كان قد فقد روحه وعادت مرة أخرى إلى جسده حينما عثر عليها مرة أخرى.

وما هي إلا دقائق ويصل كل من محمود ودينا لمنزل الأخيرة بعد أن أشارت له بالوقوف بالسيارة أمام إحدى الأبراج الهائلة، وتخبره أنها تسكن بالطابق العاشر، وبعد ثوانٍ يكون محمود في منزل دينا والتي تدعوه لاحتساء مشروب ساخن، ويحدث ذلك بالفعل ويجلس دينا ومحمود الذي يسألها عن الأحداث التي أوجعتها والموضوع الكبير الذي أخبرته به.

بدأت دينا في سرد الموضوع لمحمود وقالت (بعد ما سافرت تونس وصرت في سن الزواج قررت والدتي تزويجي من ابن شقيقتها) ولم تستمر هذه الزيجة وتم الطلاق بعد عام من الزواج بسبب السلوكيات الشاذه لزوجها ومطالبه الدائمة لأشياء تغضب الله، وبكت دينا بحُرقة إلى أن جلس محمود وعانقها برقة شديدة فوضعت هي رأسها على صدره وسألته عما إذا كان تزوج أم لا؟

فقال أنه لم يتزوج تقديسًا لحبه لها، فعانقته دينا هي الأخرى واقترب وجه كل منهما للآخر وقبلا بعضهما بشوق كبير ويخلع محمود جاكت

بدلته قبل أن يتطور الأمر ويدخل إلى حجرة النوم وهو يلف ذراعه حول خصر دينا التي بدا عليها شديد السعادة، ويغلق محمود الباب ليتم لقاء جنسي ساخن للغاية يخرج بعدها كل من محمود ودينا للاستحمام سويًا وسط بعض القبلات الحارة، وبعدها يخرج محمود لارتداء جاكت بدلته ولكنه يفاجيء بتغيير مكانه، فيدعو دينا ليسألها عما إذا كان هناك شخص ما دخل إلى المنزل فبدت عليها الدهشة ونفت ذلك تمامًا واستفسرت عن سبب سؤاله فأجابها بأن مكان الجاكت تغيّر ولكنها أكدت له أنه مكانه مثلما وضعه بيده، وتجاهلت الأمر تمامًا وقالت له:

عليك أن تتركني لإعداد العشاء، لأنها متشوقة لتناول الطعام معه مثل الماضي وتذهب دينا وتترك محمود الذي يسترجع الدقائق التي سبقت لقاءه الجنسي بدينا، ويؤكد لنفسه أن جاكت بدلته تغيّر مكانه.

وتظاهر محمود بتجاهل الأمر أمام دينا والتي تناول معها عشاءً رومانسيًا قاما بعده بأداء رقصة رائعة على مزيكا التانجو الشهيرة، وحينما همَّ محمود بالانصراف على أمل لقاءات أخرى قادمة، دينا تسأله عما إذا كان لديه عمل باكر أم لا؟.. فينفي محمود وتدعوه دينا للمبيت معها فيوافق ويعود ليشاهد معها التلفاز وتحاول جذبه مرة أخرى لحجرة نومها، إلا أنه طبع على جبينها قبلة وجذبها لأحضانه. وبعد لحظات قليلة دار حوار بينهما اختلقته دينا حول موضوع رسالة الدكتوراه الخاصة بها وأن عشقها لمصر هو السبب في تلك الموضوع.

وحاولت دينا استدراج محمود للحديث عن رسالته فأبلغها أن الأمر لم يكتمل بعد، وأنه سوف يعلن الفكرة فقط في مؤتمر إعلامي عالمي لاحقًا، لأن الموضوع عبقري وفيه خير كبير للبشرية.

وهنا اصطنعت دينا اللهفة والشوق لمعرفة ما هو هذا الذي ستستفيد منه البشرية ولكنه عاد كسابقة فعله في مركز الرقص وقام بتغيير الموضوع بشكل عادي وأخبر دينا بأنها سوف تكون أول إنسان يعرف الفكرة قبل عقد المؤتمر الإعلامي.

وبعد ذلك يخلد كلا من محمود ودينا للنوم وفي اليوم التالي يستيقظ محمود من النوم فلا يجد دينا، ونهض للبحث عنها فوجدها تدخل توا إلى شقتها وفى يدها بعض الأكياس البلاستيكية المملؤة بالطعام، وقبل أن يسألها قاطعته بأنها لم ترد إيقاظه، ونزلت لتسوق الإفطار حتى يتناولا الطعام سويًا.

فيبتسم محمود ويجذب دينا بين أحضانه ويخبرها بأنه سوف ينصرف عقب الإفطار لاتصال العمل به بشكل طارىء، وينصرف محمود بالفعل بعد الوعود بلقاءات أخرى قادمة تجمعه بدينا.

وبعد ذلك يذهب للمستشفى ويفاجأ باستدعاء المدير له وفي التو يكون محمود في مكتب المدير الذي يخبره بأنه في موقف حرج بسبب قرار إعطائه صلاحياته كمدير مستشفى فيما يخص التخدير دون إعلان السبب والدافع للقرار، وهنا يقوم محمود بإخطار المدير بإعلان تفاصيل البحث الخاص به في مؤتمر صحفي الأسبوع القادم.

تنفرج أسارير المدير كثيرًا ويدعو كبير الأطباء ليخبره بما حدث، ويوكل له أمر الإعلان عن أسباب القرار الذي اتخذه تجاه محمود وأن هناك مؤتمر طبي عالمي الأسبوع القادم سيكشف فيه محمود كل التفاصيل الخاصة بالبحث.

يشعر كبير الأطباء بحرج لأن محمود لم يستأمنه على الأمر مع المدير ولكنه يقدم التهاني لمحمود بفتور وينصرف ليعلن للأطباء ما قاله له مدير المستشفى.

ويخرج محمود ممسكًا بهاتفه الجوال ويطلب رقم دينا ليسرد لها ما حدث ويدعوها للمؤتمر فتوافق وتهنئه ويغلق الخط بوعد الحديث إليها مرة أخرى..

تمر الأيام ومحمود ما بين المعمل وغرفة العمليات ينام القليل جدًا من الوقت حتى جاء موعد المؤتمر الذي احتشد فيه مراسلوا الصحف والقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت من كافة دول العالم بشكل مكثّف، ويصعد مدير المستشفى على المنصة ويقوم بتوجيه حديث للحضور قائلًا:

أهلًا بكم من جديد وأنا أسعد بلقائكم دومًا، لأن هذا اللقاء مؤشر هام لتقدم العلم في الكرة الارضية، خاصةً أننا لا نلقاكم إلا مع ظهور جديد في الطب، واليوم موعدنا مع اكتشاف عظيم لأحد الأطباء المصريين الذي أتى للحصول على الدكتوراه من هنا، من انجلترا ولن أطيل عليكم فهو الأجدر بالحديث عن بحثه واكتشافه.

ويقوم المدير بتقديم محمود برهان الذي يخرج من خلف المنصة معه دينا حبيبته ويصفق الجميع، ويبدأ محمود في توجيه حديثه للحضور قائلًا:

اسمي محمود برهان، باحث مصري، أتيت إلى هنا لتحصيل العلم الذي يحمل جديد كل ثانية، وكذلك الحصول على الدرجة العلمية الدكتوراه الأولى في حياتي.

وبحثي باختصار هو أنني اكتشفت مادة كيميائية أطلقت عليها اسم الإبيورفين لها نفس القدرة والفاعلية للمورفين ولكن بآثار جانبية بنسبة خمسة بالمائة فقط من المورفين، الذى يستخدم في التخدير وكمسكّن للآلام الجسدية والالتهابات الحادة، دون إدمانه مع استمرار استخدامه في علاج الإدمان، وكما تعرفون عادةً يتعرض الشخص الذي يتم علاجه بالمورفين إلى مُدمن دون قصد، رغم أن الهدف نبيل وهو تخفيف الآلام عن المرضى، إضافة إلى التكلفة الخرافية لعقار المورفين.

فالإبيورفين له نفس القدر والفاعلية بسبب أن التدخل الكيميائي قليل، وكما قلت خطورته قليلة وثمنه سيكون في متناول الجميع، وأهم ما فيي هذا العقار أنه لا يسبب الإدمان لدى الشخص المعالج به.

وبالطبع هنا سنقضي أيضًا على المورفين كمادة محرمة يستخدمها تجّار الدواء والمدمنين في كل أنحاء العالم، والحقيقة أن سبب اكتشافي للإبيورفين هو ولعي منذ كنت طالبًا بكلية الطب بتحليل المادة الموجودة في الخلايا العصبية.

والحمد لله وفقت في أن أعرف بأن مادة الإبيورفين طبيعية موجودة في جسم الإنسان، ولكن مكوناتها رغم أنها كيميائية، إلا أنه يمكن إنتاجها لتصبح مادة عشبية فقط يكون استخلاصها تمامًا من الزراعة بمواصفات محددة، عكس مادة المورفين والتي تستخرج من زهور طبيعية مخدرة، مثل الخشخاش والقنب الهندي، ويتم بعد ذلك إدخال مواد عليها لتكون مادة كيميائية بنسبة تسعون بالمائة وهي النسبة التي تسبب الإدمان ومن ثم القضاء على الجهاز العصبي للمريض ووفاته أحيانا.

وقد اندهش زملائي الأطباء من رغبتي في إخلاء حجرة العمليات أثناء التخدير قبل أى جراحة، وأنا أعلن لزملائي الآن أن السبب هو أنني كنت قد قمت بإطلاع مدير المستشفى على بحثي وطلبت فرصة لتجربة المادة في التخدير، والحقيقة أنه كان مؤمنًا بي للغاية وسهّل لي ذلك كثيرًا، حيث قمت بحقن الكثير من المرضى الذين قاموا بإجراء جراحات متعددة، من الزائدة الدودية واللوز إلى جراحات القلب المفتوح والمخ، وكانت النتائج أكثر من رائعة حيث قامت المادة الجديدة بأداء دور مادة المورفين بأكثر فاعلية وراحة وتكلفته واحد من الألف من تكلفة العقار القديم.

وهناك ميزة أخرى للمادة الجديدة البديلة فالمورفين مثلًا محظور استخدامه للمرضى كبار السن خوفًا على حياتهم، ولكن الإبيورفين من الممكن استخدامه بشكل طبيعي مع المرضى كبار السن، وأضيف أن المورفين يخلق حالة كسل عند المرضى مما يدفعهم للنوم رغمًا عنهم.

وأشير إلى أنه تم عزل مادة المورفين من النبات عام 1804 بواسطة صيدلي ألماني اسمه سيرتونر Sertuner وهو في الحقيقة مجرد مادة من عشرين مادة يمكن استخراجها من الخشخاش، وقد سمي مورفين نسبة إلى مورفيوس إله الإنعدام عند الإغريق وهو ابن إله النوم، ولكن المادة الجديدة لا تسبب النعاس إطلاقًا.

ومن الأشياء الخطيرة للمورفين أنه يزيد من انتشار الخلايا السرطانية خلال الجراحة لدى المرضى المصابين بمرض السرطان، وهو بالطبع ما لا يتحقق من المادة الجديدة «الإبيورفين»، وكذلك يتسبب المورفين في منع النشاط للجهاز المناعي وهذا يعزز إفراز أوعية دموية جديدة تغذي الخلايا السرطانية.

انتهى محمود من حديثه للحضور قائلًا:

لقد انتهيت تمامًا من شرح مُبسّط عن بحثي ومستعد لأسئلة حضراتكم، فرفع أحد الحضور يده وسأل محمود عما إذا كان البحث تم تسجيله علميًا حتى يضمن حقوقه الأدبية فابتسم محمود وأكد ان التسجيل تم بالفعل، والفكرة أصبحت ملكًا وحقًا أصيلًا له.

وسألت أخرى عما إذا كان محمود قام ببيع فكرته لأي من شركات الدواء في العالم، وهنا قال محمود للجميع أن هذا المشروع لن يبيعه لأحد لأنه حلم عمره الذي يتمنى تحقيقه في مصر وطنه، وسيعمل جاهدًا لتصنيع المادة الجديدة في مصر، حتى يعرف العالم أن بلده بها الكثير من العباقرة والعلماء الذين يحتاجون نصف فرصة.

وهنا صفق الجميع تحية لمحمود الذي اعتذر للجميع لضرورة انصرافه لأنه دعى حبيبته لتناول العشاء سويًا ولكنه عاد وقال لو هناك من يريد سؤاله عن شيء فهو مستعد، وقام مازحًا وطالب الحضور بالتصويت ما بين بقائه للرد على الأسئلة أو الاذهاب لتناول العشاء مع حبيبته وزوجة المستقبل، وفوجيء محمود بأن نتيجة التصويت كانت لصالح تناول العشاء مع حبيبته فانصرف وسط ضحكات الجميع والتمنيات بالتوفيق.

ويذهب محمود مصطحبًا دينا لاحد أكبر مطاعم المدينة ويبدأ هو وهي فى تناول العشاء، ولكن هاتفه المحمول ينذره بتلقي مكالمة فيرد وكان على الخط الآخر صوت أجش قال له:

مائة مليون دولار ثمنًا للبحث الخاص بك وسأتصل بك غدًا في نفس الموعد لأعرف قرارك، وأغلق الخط.

ويضحك محمود بشكل هيستيري وتسأله دينا عن السبب فيخبرها بأن شركات الدواء فتحت المزاد لشراء براءة اكتشافه وبحثه الخطير. وهنا بدا القلق المصطنع من دينا وقالت له لا تأخذ الموضوع محمل السخرية فأنت تضع يدك في فم الأسود، وهنا بدأ محمود ينتابه القلق وسأل:

كيف؟!.

فقالت دينا:

إن صناعة المورفين على مستوى العالم في قبضة شركات إسرائيلية وحتى بعض الشركات الموجودة بأمريكا وأوروبا وآسيا أصحابها من

أصل إسرائيلي، وأنت بهذا الشكل تهز مصالحهم وستسبب لهم في خسائر فادحة لن يسمحوا لك بأن تكون سببًا فيها باكتشافك.

فرد محمود بأنه لم يفصح عن تركيبة تلك المادة فهو يحتفظ بها في رأسه، كما أنه لم يعلن مصدر المادة الأصلية الذي اشتق منها مادة الإبيورفين، وهنا بكت دينا وقالت لمحمود:

لن يتركوك .. لن يتركوك..

فأمسك محمود بيديها مقبلًا إياهم شاكرًا لها على خوفها عليه وأبلغها أنه يترك كل شيء على الله.

ينصرف محمود بصحبة دينا والتي تختلق حديثًا على هاتفها، ثم تعتذر عن عدم توصيل محمود للمستشفى نظرًا لمرض صديقة لها، فينصرف كل منهما في اتجاه بعد الاتفاق على عقد القران مع حب العمر خلال يومين.

وفي الشارع المجاور لاستراحة الأطباء الملحقة بالمستشفى يستخرج محمود هاتفه للاطمئنان على دينا والحديث إليها، ولكن بدون أى مقدمات تظهر سيارة في عرض الطريق تصدم محمود بشكل ساذج فيقع محمود، ويحاول اللحاق بالسيارة ولكنه لا يدركها، ولكن هاتفه يرن وعلى الخط الآخر نفس الشخص الذي تحدث إليه قبل قليل في المطعم بصوته الأجش وقال له:

كنا نستطيع قتلك ولكن أردنا فقط تذكيرك بأن تتخذ القرار السليم.. موعدنا غدًا.. واغلق ذلك الشخص الخط ولكن محمود بدا مرتبكًا وهرول إلى مسكنه وحاول الاتصال بدينا ولكن هاتفها غير متاح، وظل كذلك لساعات طويلة كان محمود بعدها قد خلد إلى النوم استعدادًا ليوم عمل شاق.

وفي اليوم التالي قام كبير الأطباء بتوجيه نصيحة لمحمود بأن عليه الابتعاد عن كل ما يخص هذا البحث وفي سياق الكلام تحولت النصيحة لشكل أشبه بالتهديد، وأشار إلى ان المستشفى لن تستخدم المادة التي اكتشفها من خلال بحثه وستظل مادة المورفين هي أصل التعامل في التخدير.

وقبل أن يهم كبير الأطباء بالانصراف التفت إلى محمود وأبلغه أن مدير المستشفى في أجازة مفتوحة، وهو من سيحل محله، كما أبلغ محمود أنه إذا أراد أن يكمل رسالته ويعمل في تلك المستشفى، عليه إطاعة الأوامر والتخدير بالمورفين وإلا لن يحصل على الدكتوراه، وربما تحدث أشياء أخرى هو في غنى عنها.

وأصيب محمود بالإحباط، ولكنه تظاهر بالرضا ورد بأنه سيكون دومًا في طوع كبير الأطباء والذي أطلق ضحكة صفراء وانصرف.

وفي الخلفية السير بيتر يطلق هو الآخر ابتسامة صفراء مقرونة بالتشفّي أزعجت محمود بشدة، فتوجّه إليه وسأله عما يضحكه، ولكن بيتر نظر لمحمود بحسرة أكبر وقال له:

لن يفيد الحديث الآن سآتي لحجرتك ليلًا للحديث معك في أمرٍ هام، ثم انصرف ونظرات الاستفهام تحاصره من محمود.

ولكن عاد بيتر بعد عدة أمتار وأبلغ محمود بضرورة الانصراف لأن كل شيء مراقب بالكاميرات.

يشعر محمود بالخوف والحيرة الشديدة ولكنه تماسك ويمارس مهام عمله في التخدير، ولكن بالمورفين الذى أطلق عليه المركب الملعون.

وينتهى يوم العمل بعد محاولات محمود الاتصال بدينا ما بين الجراحة والأخرى، ولكن الهاتف غير متاح ويذهب محمود لمكان إقامته وينذره هاتفه باستقبال مكالمة دون وجود أو إظهار لرقم المتصل، ردّ محمود ليجد صاحب الصوت الأجش يسأله مباشرةً:

قررت إيه؟.

فيرد محمود بهدوء:

لن أبيع بحثي.

فقال الرجل على الطرف الآخر:

إذن أنت قررت إخبارنا بتقرير كيفية زراعة الإبيورفين والتركيبة الخاصة والمادة المشتقة منه.

فضحك محمود ساخرًا وقال له:

لا هذا ولا ذاك، وعليكم بقتلي حتى تحصلوا على ما تريدونه، ثم أغلق الخط وقام بفتح الكمبيوتر المحمول الخاص به وبدأ يتحدث إلى أمه وشقيقاته عبر فيس بوك، وبعد عدة دقائق ينهي الحديث ويقوم بتشغيل الموسيقى على اللاب توب.

في الطرقة يسير بيتر نحو حجرة محمود ويطرق الباب فيجد الباب مفتوحًا ويدخل ليجد محمود مذبوحًا من رقبته بشكل وحشي.

وهنا يصرخ بيتر صراخًا هيستيريًا ويحضن جثة محمود ويقول:

كنت سأحذرك الليلة وظل يكررها حتى التف جميع من في المستشفى حول بيتر بسبب صراخه، ويتم إبلاغ النيابة التي حضرت توًا، وبعد معاينة الجثة يدخل رئيس النيابة لمكتب كبير الأطباء ويدور بينهما حوار ضاحك يشاهده بيتر من خلف الحائط الزجاجي، وبعدها يخرج رئيس النيابة ليصرّح بدفن الجثة وقيد الحادث على أنه انتحار وإغلاق ملف القضية نهائيًا.

في اليوم التالي تتوجه أم محمود برهان ومعها شقيقته بعد أن علمت بالمصيبة لمكتب السفير الانجليزي للحصول على تأشيرات السفر لاستلام الجثة ومتابعة سير التحقيقات، وبأقصى سرعة يقوم السفير بنفسه بذلك وبعد ساعات كانت والدة محمود وشقيقته بمكتب كبير الأطباء بالمستشفى التي كان يعمل بها محمود، تطلبان معاينة الجثة ويتم ذلك بالفعل وسط عويل الأم والابنة التي وجدت بجثة شقيقها الكثير من الجروح والكدمات، مما يؤكد قتل محمود وليس انتحاره.

وسألت الأم كبير الأطباء عن تقرير تشريح الجثة وتقرير معاينة النيابة والشرطة، فأبغلها كبير الأطباء بأن الجثة تم تشريحها، وتقارير المعاينات فى الشرطة والنيابة.

فتلملم الأم أحزانها وتنصرف معلنة أنها لن تصمت على حق ابنها. وعلى باب خروج المستشفى يستوقف بيتر والدة محمود وشقيقته ويطلب منهما الحديث، فسمحا له وقال الرجل وتكفلت الابنة بالترجمة لأمها أنه كان غاضبًا جدًا من محمود لشعوره بمصيره لأنه لم يأت طبيب مصري للمستشفى وعاد لمصر، فإما ظل في لندن أو سافر لأمريكا أو إحدى دول أوروبا وكانوا يحصلون على الثمن بالطبع، وكنت قد توقعت مقتل محمود بسبب البحث الخاص به وأنه سوف يثير عليه شركات إنتاج المورفين.

ومن واقع خبرتي فإن في هذه الحالة تلجأ مافيا الأدوية لشيئين لا ثالث لهما، إما شراء الشخص أو تصفيته.

وسألت شقيقة محمود بيتر عما يعمل ولماذا كان يريد تحذير محمود من المصير المرعب، فقال بيتر أنه طبيب منذ ثلاثون عامًا وكان كبير أطباء تلك المستشفى، ولكنه توصّل لتركيبة خاصة لدواء فاحش الثمن وكانت التركيبة بسعر أقل بكثير جدًا من ثمن الدواء الأصلي، فتلقى تحذيرات من بعض الإسرائيليين وعبر وسطاء بنسيان هذا الأمر وأنه تم تهديده ولم يرتدع فلفقوا له عدة قضايا منها سرقة مواد خام

باهظة الثمن من معمل المستشفى، ووصل ثمن تلك الأدوية المزعوم سرقتها اكثر من خمسة ملايين جنيه استرليني.

وكذلك لفقوا له قضية أخلاقية حيث دفعوا عليه عدد من الممرضات الداعرات وقالوا كذبًا أنه تحرش بهن، وفاوضوه خلال التحقيقات وأبلغوه أن مصيره ما زال في أيديهم وأنهم يرفقون بحاله فقط لأنه انجليزى، فخيروه ما بين الخروج والعودة لبناته مع تحويله لعمل إدارى أو مواجهة السجن، فخاف على أسرته وتم تسوية الأمر بمعرفة الكبار واختار الخروج وممارسة عمل إدارى بدل من ممارسة الطبيب.

وقال بيتر:

ولكني هذه المرة لن أصمت وسأبلّغ بكل ما أعرفه عن مقتل محمود الذي كنت أراه غبيًا لم يفهم تحذيراته ورسائل المحمول التي كنت أرسلها له من تليفون مجهول..

لقد أحببته مثل ابني ولكن للأسف لم يفهمني، وأنا قررت تنبيهه ولكن الوقت كان قد مر وفجأة يسقط بيتر على الأرض بعد أن أُطلق على رأسه طلقة من بندقية قنّاصة كاتمة للصوت ببرج مقابل للمستشفى.

ويأتي المشهد الأخير لدينا حبيبة محمود ذات الأصل التونسي وهي تتحدث إلى أحد قادتها عبر الهاتف وتقول:

تمام يا فندم لقد صمت الأسد الشاب للأبد وتمت المهمة بنجاح.

ملتت

قطرات الندى

ما زلت أستيقظ على صوت قطرات الندى، حيث أتذكر معه ماضينا الحزين، قطرات الندى تتحداني وتفكيري، فتعود كل صباح ومعها كل ذكرى جميلة.

أحاول دائمًا أن أزيح كل شيء من طريقي، ولكن هيهات أن ترحم قلبي قطرات الندى بكل ما تجلبه معها من شجون.. هذا القلب الذي لم ترحمي يومًا ضعفه أمامك.

أذهب إلى فراشي كل مساء، أنقضُ على وسادتي، أبحث عن أسباب فعلتك معي، ولا أجد سببًا واحدًا كما تمنت نفسي، سببٌ يجعلني أنهض كما كنت وأبدأ من حيث كنت، لكن سقط قلبي تقريبًا من دائرة الحياة والحب معًا، دخل لعالم لم يطأه وجداني من قبل، مظلم، موحش، حارق للأعصاب، ربما صرت كوكبًا بعالم الحزن والجراح.. لا أدري، آلام استغرقتني في تفاصيل لم أعرف لها مثيلًا طوال حياتي الماضية، ألم دفع عيني لاعتزال الرؤية رغمًا عنها، فهل تراجعت دموعي أيضًا، هيهات بل انهمرت في ازدياد.

فجأة سمعت صرخة كدت أفقد على أثرها أسماعي، صرخةٌ مدوية هزت أعماقي لكن برفق، إنها ثورة قلبي ساخطًا على ما هو فيه، حاولت

دومًا إعادة إحكامي على هذا القلب، أحاول دومًا أن أنساكِ، لكن كل شيء في يعصاني إلا قلمي يعود دومًا ويكتب عنك ولا يعبأ بصراخ كل العُصاة وعلى الرأس كبيرهم، قلبي الواهن.

حاولت الخروج من تلك المنطقة الجافة اللعينة، حاولت أن أنهض بنفسي، أن أسلك دونك طريقًا نورانيًا، حاولت أشياء كثيرة لأقتل هذا الماضي، ذاك السفّاح الذي يذبح روحي بسكينٍ بارد، لدرجة تمنيتُ معها قطع الوصال ليُقضى عليي تمامًا فذاك أهون على نفسي مما أحياه وأعيشه في تلك الدنيا، حاولت أن أسير على قدماي بعدما سئمتا الكرسي المتحرك، هل أدركتي كل مافعلتيه بيِ؟ ..

حولني فراقك لبقايا إنسان، قتلتي مشاعري الرخوة بسيف فراقك، أشعلتي النيران في نفسي التي كانت تحضنك حضن الرياح للنخيل، تأتي الآن وبعد كل هذا، تدعينني للنسيان؟!

تطلبي مني الغفران وكأني إلهكِ الوحيد، لا.. لا للعودة معكِ لهذه الدروب التي مشيناها سويًا، امشي في طرق الحرام وحدك مع الكثير من أولاد آدم رفقة خطايا الشيطان، لم أكن أدري أنكِ امرأة لكل الرجال، لم أكن أدري أني رقم ضمن مسألة حسابك.. مجرد رقم ولست نتيجة نهائية لعملية حب خالصة، لم أكن أدري أنك كالشمس تدفيء الرجال فقط،

أتوسل إليكِ بكل ماء الكون الذي منبعه في الأصل دموعي، أقسمت عليكِ أن تتركيني أبقى كما أنا، حُطام إنسان، عسى أن تأتي

إشراقة من صباح آخر تضيء نفسي من جديد، عسى أن يأتي فجرٌ جديد، أنتظره بعيدًا عنكِ، عسى أن تأتي حواء جديدة في حياتي تعيد بناء نفسي المنكسرة على يديكِ أيتها اللعوب، سُحقًا لن أسامحك ما دمت أحيا وأتذكرك.

لمستْ

فهرس

إهداء 5

البــغـايــا 7

البِشعـة 23

ذئب جريح 59

شهيد 73

قطرات الندى 98